التعسّرُ في الرواية عند المحدّثين
مفهومه ونشأته وأسبابه وآثاره

د. سعيد محمد علي بواعنة*

تاريخ وصول البحث: ٢٠١١/١٠/١٦م **تاريخ قبول البحث: ٢٠١٢/٧/١٧م**

ملخص

استهدف هذا البحث دراسة ما يعرف بظاهرة "التعسّر في الرواية عند المحدّثين" وذلك من حيث الوقوف على مفهومه، ومبدأ نشأته، وأسبابه، وآثاره في واقع علم الرواية.

هذا وقد خلصت الدراسة إلى أنَّ التعسر في الرواية ما هو إلاّ ظاهرة طارئة في بيئة المحدّثين؛ ذلك أنها لم تكن عند جيلِ الصحابة أو التابعين أو تابعيه، وأمّا ما كانَ عندهم من إقلالٍ من الرواية فمحمول على الاحتياط لدين الله تعالى، بخلاف مَنْ عُرِفُوا بالتعسّر بفعل أسباب حملتهم على ذلك منها نفسي، وآخرعلمي، وثالث ديني. كما توصّلت الدراسة إلى أنَّ التعسر في الرواية عند المحدّثين هو أمر سلبي، نجمَ عنه ضياع الروايات، وتستَّرَ الضعفاءُ به ليغطّوا على ضعفهم، بل وصار وسيلة للوضّاعين، يسوغون بها أحاديثهم، ويبرر بها أصحاب الغرائب غرائبهم.

Abstract

This research aims at studying the phenomenon named ‘Al-Ta’sur’ in narration of ‘Al-Ahadeeth’ by narrators. I highlight its concept, origin, reasons and effects on the reality of narration-science. This study finds out that this phenomenon is an exceptional one at the narrators’ environment. It is a precedency that is not found at the time of Companions of the Prophet or followers and if it was there, it was widely known. Those who are famous for practicing ‘Al- Ta’sur’ appeared because of some several psychological, scientific and religious reasons. The results show that this phenomenon has negative impacts that lead to the loss of narrations, hiding the weak points of the unreliable narrators and, giving an opportunity to some sick people to lie on the tongue of the prophet.

المقدمة.

الحمد لله الذي دعانا إلى محاسن الطباع والأخلاق، وحثّنا على تزكية العلم ببذله وتبليغه كالمال في الإنفاق، وحذرنا مغبّة الشقاق، ودعانا إلى أرفعِ الأذواق، والصلاة والسلام على رسوله الكريم ﷺ الذي بعثه الله – تعالى – ليتمم به مكارم الأخلاق، ويرسم به سبل الوفاق والاتفاق؛ فدعانا إلى نبذ الطباع غير المليحة ، وحثّنا على الرفق في القول والعمل بما ثبت عنه في الأخبار الصحيحة، وسلامًا على الأنبياء الكرماء اللطفاء، ثمّ سلامًا على الصحابة الأتقياء أهل اليسر والنقاء؛ الذين نبذوا العسر والتعسّر، فنشروا بسماحة أخلاقهم دين الله في جميع الأرجاء.

وبعد:

فإنّ الأصل الذي ينبغي أنْ تقوم عليه أخلاق الرواة في نشر حديث رسول الله ﷺ هو اليسر لا العسر، وسمو الخلق، لا فجاجته وغلظته، والرفق والدماثة لا صعوبة المعشر، فهكذا هو الهدي النبوي؛ تبشيرًا لا تنفيرا، وتيسيرا، لا تعسيرا، وعلى ذلك سلك الرعيل الأول في الإسلام من الصحابة والتابعين وتابعيهم فكانوا يُحدِّثون عن رسول الله ﷺ، وحين أقلّوا من الرواية فلم يكن إقلالهم تعسرًا، وإنما تحوطًا لدين الله تعالى ، وأدبًا مع سنة رسول الله ﷺ؛ خشية أنْ تعتاد

* محاضر متفرغ، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، قسم أصول الدين.

الألسُن الجرأة على الحديث، فيخوض فيه كلّ أحد؛ غيرَ أنَّ الأمر لم يبقَ على هذه الشاكلة، بل برزت ظاهرة عند رواة الحديث، عرفت بظاهرة "التعسّر في الرواية عند المحدّثين" فظهر قوم من الرواة طلب إليهم الناس التحديث فأبوا وتمنّعوا – وكلٌّ له سببه الذي يتعلل به في التمنّع والتعسّر، ولمّا كانت هذه الظاهرة قد تفشت، فقد رأينا أصحاب المصنفات في التراجم، ينوهون بها عند ترجمة راوٍ من الرواة – فيه هذا الوصف، والمدقق في هذا التنويه يدركُ أنها ظاهرةٌ كان لها وقع مهمٌّ على الساحة الحديثية، وتأثيرٌ جم على واقع علم الرواية.

ولمّا لم يسبق أحد من الباحثين إلى كشف ملابسات هذه الظاهرة– في حدود اطلاعي المتواضعة – فقد جاءت هذه الدراسة لتحاول الوقوف على حقيقة هذه الظاهرة، وتداعياتها من حيث المفهوم، وتاريخ النشأة، والأسباب والدواعي التي أسهمت في ظهورها، والآثار الناجمة عن تفشيها على واقع علم رواية الحديث.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وخمسة مطالب وخاتمة على النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم التعسر لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: نشأة ظاهرة التعسّر في الرواية.

المطلب الثالث: صيغ إطلاقات التعسُّر في الرواية.

المطلب الرابع: أسباب التعسر في الرواية.

المطلب الخامس: آثار التعسر في الرواية.

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والخلاصاتِ التي توصلت إليها الدراسة.

وأخيرا أرجو أنْ أكونَ قدْ استوفيت في هذه الدراسة الغاية والمقصود، واللهَ أسألُ أنْ يجعلَ هذا الجُهدَ في ميزانِ حسناتنا، ويُجزلَ لنا وللمنتفعِ بهِ المثوبةَ عليه في الآخرةِ والدنيا، إنه وليُ ذلكَ، والقادرُعليه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

المطلب الأول: مفهوم التعسر لغة واصطلاحا

إنَّ التعسّر لغة مأخوذ من الجذر (عَسَرَ) فيقال: العُسْر و العُسُر: ضد اليُسْر، وهو الضيّق والشدَّة، والصعوبة والمنع. قال الله تعالى: **﴿سَيَجْعَل الله بعد عُسْرٍ يُسْراً﴾** (الطلاق :٧)، ... ويجوز أَن يكون العُسُر لغةً في العُسْر، كما قالوا: القُفُل في القُفْل، والقُبُل في القُبْل، ويجوز أَن يكون احتاجَ فثقَّل، وحسن له ذلك إِتباعُ الضمِّ الضمَّ.قال عيسى بن عُمر: كل اسم على ثلاثة أَحرف، أَوله مضموم، وأَوسطُه ساكن؛ فمن العرب من يُثَقِّلُه، ومنهم مَنْ يخفّفه، مثل: عُسْر وعُسُر، وحُلْم، وحُلُم. والعُسْرةُ والمَعْسَرةُ والمَعْسُرةُ والعُسْرَى: خلاف المَيْسَرة، وهي الأُمور التي تَعْسُر ولا تَتَيَسّرُ، ....

ويوم أَعْسَر أَي: مشؤوم... وتعسَّر الأَمر و تعَاسَر واسْتَعْسَرَ: اشتدّ والْتَوَى، وصار عَسِيراً. واعْتَسَرْتَ الكلامَ إِذا اقْتَضَبْته قبل أَن تُزَوِّرَه وتُهَيِّئَه.... وعَسَرَ الغريمَ يَعْسِرُه، ويَعْسُره عُسْراً، وأَعْسَرَه: طلب منه الدَّيْنَ على عُسْرة، وأَخذه على عُسْرة ولم يَرْفُق به إِلى مَيْسَرَتِه. وأَعْسَرتِ المرأَةُ وعَسَرَتْ: عَسُرَ عليها وِلادُها، وإِذا دُعِيَ عليها قيل: أَعْسَرت وآنَثَتْ، وإِذا دُعِيَ لها قيل: أَيْسَرَت، وأَذْكَرَتْ، أَي: وضعتْ ذَكَراً، وتيسَّرعليها الوِلادُ. وعَسَرَ الزمانُ: اشتدّ علينا...."(١).

وهكذا فإنّ التعسر يدور في فلكه خمسة مَعانٍ رئيسة هي: الضيق، والشدّة، والصعوبة والمنع، والالتواء، وينضاف إليها معنى سادس هو الإقلال، وقد أشار إليه ابن منظور في كلامه على مادة (نَكَدَ) فقال: "وسأَله فأَنكَدَهُ أَي: وجده عَسِراً مُقَلِّلاً، وقيل: لم يجد عنده إِلاَّ نَزْراً قليلاً. ونكَدَه ما سأَله يَنْكُدُه نَكْداً: لم يعطه منه إِلا أَقَلَّه"(٢).

وأمّا التعسر اصطلاحا فلم أقف على أحدٍ عَرّفه في هذا المقام، وهو في تصوري ليس يخرجُ عن مضمون المعاني اللغوية المتقدّمة، ولعلّه حين يطلق يغلبُ عليه من المعاني فيما يتبادر إلى الذهن أنه في إطار غياب المال وفقدانه، فيقال: فلان تعسر حاله وعيشه، أي : ليس معه مال، وتكون المعاني التي أشرنا إليها مِن قبل، مثل: الضيق، والشدّة، والصعوبة، والمنع، والالتواء، من مستلزمات معنى عدم امتلاك المال؛ لأنه مادام المال غير متوافر فمما لا شكّ فيه أنَّ المرء سيكون حاله في ضيق وشدّة وصعوبة والتواء ومنع وإقلال غيرَ أنَّ اللغة طيّعة واسعة الاستيعاب؛ إذ يجوز أنْ ينساق إطلاق لفظ التعسر والإعسار وسائر اشتقاقات مادة (عَسَرَ) على كل معنى من تلك المعاني بصورة مستقلة وإذا كنّا نقصد بيان معنى التعسّر في الرواية عند المحدّثين في ضوء تلك المعاني فالمناسب أن يقال: إنّ التعسّر في الرواية هو: **"تَمنُّعِ الراوي عن التحديث برغم غزارة محفوظه؛ لأسباب مخصوصة، على نحو يصيْرُ ذلك فيه سجيَّة له، وعلامةً عليه".**

وهذا التمنُّع عن التحديث يقوم على الشدّة والصعوبة والتضييق والمنع والإقلال من كَمِّ الروايات التي يحدث بها أحد الرواة ومبعثه أسباب، منها: النفسي أو العلمي أوالمالي أو الديني– تحمله كلها أو بعضها على انتهاج هذا النمط في الرواية.

المطلب الثاني : نشـأة ظـاهرة التعسّر في الروايـة

إنَّ الأصل في المحدّث الذي يحمل حديث رسول الله ﷺ أنْ يكون سَمْح الطباع، طيب النفس، حَسن الخُلق، وأنَّه إذا ما كتم العلم وبخل به على الناسِ؛ فيكون قد جازف مجازفة، تضعه في دائرة وعيد الحديث الصحيح عن النبيﷺ الذي يقول فيه: "مَنْ كَتَمَ عِلْمًا ألجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَار"[٣] وعليه فالخليق بالمحدّث أن يكون ممّن يبذل العلم، وينشره، ويفيدَ به مَن حوله، متمثلا في ذلك الحديث الصحيح الذي يقول فيه النبيﷺ: "نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ"[٤]. وقد بوَّبَ الإمام ابن حبّان على هذا الحديث بقوله: "ذكرُ البيان بأنّ هذا الفضل إنما يكون لمن أدّى ما وصفنا كما سمعه سواءً لا تغيير، ولا تبديل فيه"[٥]. وقال أبوعبد الله الحاكم عن هذا الحديث: إنه "قاعدة مِن قواعد أصحاب الروايات"[٦].

نعم. هكذا الأصل فيمن يُريد أنْ يحظى بفضيلة وبركة حديث رسول اللهﷺ، من أمثال إمام الدنيا، وجبل الحفظ، وطبيب العلل الإمام البخاري، وتلميذه العبقري الإمام مسلم بن الحجاج، اللذان أَخْلَاصا النية لربّ العالمين؛ فلم يكن لهما حظُّ نفس، ولا مطمع دنيوي يرجّيانه من صنيعهما؛ فخلّد الله تعالى ذكرهما، وحبَّب الخلق فيهما، وصان السنة بصنيعهما.. وإذا كان الأمر على ما أشرت، فإنَّ المحدّثين أولًا وأخيرًا هم بشرٌ، ليسوا بأنبياء معصومين؛ إذ تكتنف شخصياتهم أحوال متباينة، على الصعيد: النفسي، أو المالي، أو العقلي، أو العلمي، ولأجل ذلك فقد برزت عند أهل الحديث ظاهرةٌ، عُرفت بـ: ظاهرة التعسّر في الرواية عند المحدثين؛ فيتمنع قوم عن التحديث ويقللون من الرواية على غزارة محفوظهم وسعة علمهم **واطلاعهم**.

وإذا نظرنا بتمعن في تاريخ نشوءِ هذه الظاهرة، يتبينُ بالاستقراء الدقيق أنها لم تكن في عصر الصحابة الكرام،وهم معاقد الرواية وأوعيتها عن رسول الله ﷺ، وإنما كان بروزها فيما بعدَهم وبِحسب الاستقراء الذي قمت به، فقد بدأت بوادر تلك الظاهرة بعدَ القرن الهجري الأول وأول من نُعتَ بالتعسر هو الإمام الحافظ أبو عبد الله نافع مولى ابن عمر (ت ١١٧هـ)[٧] وصفه بذلك الإمام أحمد في كتابه "العلل ومعرفة الرجال"[٨]، ولئن كانَ الصحابة الكرام مثل أبي بكرٍ وعمر – رضي الله عنهما – يقتصدون في الرواية فإنَّ ذلك لم يكن تعسّرا منهم، ولا دعوة إلى التعسّر، وإنما هو من باب التثبت والاحتياط لدين الله – تعالى – والوَرع والخشية من أنْ يُنسب لرسول الله ﷺ ما لم يقله ولهذا لمَّا عُوتب أمير

المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –على طلبه البينة من أبي موسى الأشعري في حديث "الاستئذانُ ثلاث" أجاب قائلًا: "إنَّما سمعتُ شيئا فأحببتُ أن أتثبت" (٩).

هذا ووقع في رواية صحيحة أسندها ابن حبان في كتابه المجروحين لحديث الاستئذان ثلاث: "... فقال له عمر: إنا لانتَّهِمُك، ولكنَّ الحديث عن رسول الله شديدٌ" (١٠) قال ابن حبّان: "وقد كان عمر يطلبُ البينة من الصحابة، على ما يرويه عن رسول الله ﷺ مخافة الكذب عليه؛ لئلا يجيء مَنْ بعد الصحابة الكرام فيروي عن النبي ﷺ ما لم يقله". ثم أردف ابن حبّان قائلًا: "قد أخبر عمر ابن الخطاب أنه لم يتهم أبا موسى في روايته، وطلبُ البيّنة منه على ماروى [ليس] تكذيبا له، وإنّما كان يشدد فيه؛ لِأَنْ يعلمَ الناسُ أنَّ الحديث عن رسول الله ﷺ شديد، فلا يجيء – مَن بعدهم– مَن يجترئ فيكذب عليه ﷺ، أو يتقوّل عليه ما لم يقل، حتى يدخل بذلك في سخط الله عز وجل" (١١).

المطلب الثالث : صيغ إطلاقات التعسُّر في الرواية

لقد استخدم نقّادُ المحدّثين مصطلح التعسر في حقِّ من كانَ متمنّعا عن الرواية والتحديث، وهذا المصطلح مطَّرِد المعنى في كلامهم وتعبيراتهم، وقد أطلقوا صيغًا عدّة، تدلُّ على الصورة الكمية لحالة تحديث راو من الرواة، وبيان قلّة تحديثه، وهذه الصيغ بحسب ما وقفتُ عليه –بعد الاستقراء والتتبع في كتب التراجم–هي:

١- **كان فلان عَسِرًا سيءَ الخلق،** قال العجلي في ترجمة سليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٧هـ): "كان عَسِرًا سيءَ الخلق"(١٢).

٢- **فلان لم أسمع منه شيئا وكان عسرا،** قال العجلي في ترجمة حَبَّان بن هلال البصري (ت ٢١٦هـ): "ثقة لم أسمع منه شيئا وكان عسرا"(١٣).

٣- **كان فلان عسرا في الحديث،** قال ابن سعد في الطبقات في ترجمة إبراهيم ابن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (ت ١٨٥هـ): "كان عَسِرًا في الحديث" وقال العَجلي في ترجمة محمد بن عبد الوهاب السُّكري (ت ٢١٢هـ): "مِن أفاضلِ أهلِ الكوفةِ وكان عسرا في الحديث"، وحكى الخطيب البغدادي في إسناد ساقه عن أبي اليمان الحكم بن نافع البَهراني من شيوخ البخاري (ت ٢٢٠هـ) أنه قال: كان شعيب بن أبي حمزة (ت ١٦٢هـ) عسرا في الحديث"(١٤).

٤- **كان فلان عَسِرًا في الحديث، ممتنعًا به،** قال ابن سعد في ترجمة الجَرّاح بن مُليح الرُّؤاسي (ت١٧٥هـ): "كان عَسِرًا في الحديث، ممتنعًا به"(١٥).

٥- **كان عَسِرًا** ، قال ابن سعد في ترجمة سُعيرِ بن الخمس (ت ١٨٧هـ): "كان عَسِرًا"(١٦).

٦- **كان أمر فلان في الحديث عَسِرًا جدًّا،** حكى الخطيب عن الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) أنه قال عن شعيب بن أبي حمزة: "كان أمر شعيب في الحديث عَسِرًا جدا "(١٧).

٧- **كان فلان عَسِرًا في التحديث،** قال ابن ماكولا في الإكمال: "القاضي أبو الحسن محمد بن إسماعيل بن عمر ثقة، مأمونٌ، مكثرٌ، كان عَسِرًا في التحديث، كان ملازمًا لنا وسمعتُ منه"(١٨). وقال في ترجمة عبد الله بن داود الخُريبي(ت ٢١٣هـ): "كان عَسِرًا في التحديث"(١٩).

٨- **فلان كان عسرا في الرواية،** قال أبو سعد السّمعاني في ترجمة أبي الوفاء عبد الواحد بن حمد الصباغ (ت ٥٣٣هـ): "كان عَسِرًا في الرواية"(٢٠).

٩- **كان صَعْبَ الأخلاق عَسِرًا،** قال ابن نقطة في التقييد في ترجمة عبد الرحمن ابن أبي البركات المعروف بابن المُشتري (ت ٦١٩هـ): "وكان صعْبَ الأخلاق عَسِرًا"(٢١).

١٠- **كان له خُلُق، وكان عسرا في التحديث**، قال ابن نقطة في ترجمة شيخه: الرَّهاوي (ت ٦١٢هـ): "سمعت منه بحرَّان مجلسا واحدا ولم أعد إليه؛ لأنه كان له خُلق وكان عسرا في التحديث، لا يُكثر عنه إلا من أقام عنده"(٢٢).

١١- **كان فلان عسرا في التسميع**، قال الإمام الذهبي في ترجمة الحسين بن فَهْم (ت ٢٨٩هـ): "كانَ عَسِرًا في التسميع" (٢٣).

١٢- **كان فلان عسرًا نَكِدًا**، قال ابن حِبّان في صحيحه: "أخبرنا عبد الله ابن أحمد بن موسى (ت٣٠٦هـ) بعسكر مُكْرَم، وكان عسرًا، نكدًا"(٢٤). قلتك يعني بذلك عَبْدان الأهوازي، قال الذهبي في التذكرة في ترجمة عبدان الأهوازي: "قال ابن حبان أتانا عبدان بعسكر مكرم وكان عسرا نكدا"(٢٥) قلتُ: قوله (أتانا) تصحيف، والصواب أخبرنا كما نقلناه من صحيح ابن حبّان بحسب ما تقدّم، والله أعلم.

١٣- **كان عسر الرواية زَعِرَ الأخلاق**، قال الذهبي في ترجمة الحسن بن أحمد السَّبيعي (ت ٣٧١هـ): "كان عسرا في الرواية زَعِرَ الأخلاق"(٢٦).

والزّعرُ، يعني: سيء الأخلاق، قال ابن منظور: "وربما قالوا: زَعِرَ الخُلُق، الزُّعْرُورُ السَّيّءُ الخُلُقِ والعامة، تقول: رجل زَعِرٌ"(٢٧).

١٤- **كان عَسرًا؛ أعسَرَ أهل الدنيا**، حكى الإمام الذهبي في ترجمة ابن أبي ذئب (ت ١٥٨هـ): "قال علي بن المديني (ت ٢٣٤هـ) سمعت يحيى بن سعيد (يعني: القطان) (ت ١٩٨هـ) يقول: كان ابن أبي ذئب عسرًا؛ أعسرَ أهل الدنيا"(٢٨).

١٥- **كان عسرًا في الحديث جدّا**، حكى الخطيب في ترجمة حفص ابن غياث (ت ١٩٤هـ) قال: "قال ابن عمار: وكان عَسِرًا في الحديث جدًا"(٢٩).

١٦- **كان سيءَ الخلق متكبرًا عسرًا، أو كان ضجورًا، عسرًا مبغضًا لأهل الحديث**، حكى الإمام الذهبي في ترجمة يحيى ابن علي الحُلْواني (ت ٥٢٠هـ) قال: "قال أبو سعد السمعاني: قدم مرو إلى خاقانَ صاحب ما وراء النهر رسولًا، فسمعتُ منه جزءًا وكان سيءَ الخُلق متكبرًا عَسِرًا"، وقال الإمام الذهبي في ترجمة أبي الفتح أحمد بن علي الغَزنَوي (ت ٦١٨هـ): "كان ضجورًا عسرًا، مُبغضًا لأهل الحديث" (٣٠).

١٧- **كان فيه عُسر**، قال ابن سعد في ترجمة ربيعة بن عثمان ابن الهُدير (ت ١٥٤هـ): "قليل الحديث وكان فيه عُسْرٌ"(٣١).

وعليه فبعد الاستقراء في كتب التراجم، وبالنظر إلى هذه الصيغ التي وصف فيها عدد من الرواة بالتعسّر نجدُ أنَّها كانت على نمطين:

الأول: صيغ تصف الراوي بالتعسر في التحديث، والإقلال من الرواية فقط.

والثاني: صيغ تصف الراوي بالتعسر في التحديث، فضلا عن سوء خلقهِ، وتكبره، وتضجُّره، وبغضه لأهل الحديث.

والحقيقة أنّ هذا النمط الأخير في الواقع ليس من الإسلام في شيء؛ إذ صنيع هؤلاء المتعسرين معارض لحديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: "إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا"(٣٢).

المطلب الرابع: أسباب التَّعسُّر في الرواية

إنَّ المتأمل في تراجم الرواة الذين وصفوا بالتعسّر في الرواية يتبين لـه أنَّ هناك أسبابًا عديدة تدفع الراوي ليكون متعسِّرًا في الرواية، وفيما يأتي بيان ذلك:

أ – **الأسباب النفسية:** ويُراد بذلك وجود أسباب مركوزة في نفس الراوي تحْمِلُه على التعسر مصدرها نفسي ومن ذلك:-

١- **سُوء الخلق (حدّة الطّباع)**، وممّن عُرفَ بذلك من الرواة على جلالته ورفيع منزلته في الرواية الأعمش (ت ١٤٧هـ) ، قال العجلي عنه: "كان عَسِرًا سيءَ الخُلق " ثم ساق بسنده، فقال: حدثنا أبو سفيان الحِمْيَري، عن سفيان بن حسين، قال: أتى الأعمش ناحيةً، فأتاه قومٌ منهم، فسألوهُ أنْ يُحدِّثهم، فأبى، فقال له رجل: يا أبا محمد! لو حدثت هؤلاء المساكين! قال: ويلك. ومن يُعلِّق الدُرَّ على الخنازير" وأخرج بسنده، قال: أخبرنا أبو مسلم، حدثني أبي، عن أبيه قال: قيل للأعمش: كنتَ تأتي فلانا رجلا من السَّلاطين فتركته؟! قال: إنما هم عندنا بمنزلة الحُشِّ؛ إذا احتجنا إليه أتيناه وإذا استغنينا عنه تركناه [٣٣]، وقال ابن نقطة عن ابن المُشتري (٦١٩هـ): "وكان صعب الأخلاق عَسِرًا"[٣٤] وقال في ترجمة عبد القادر الرَّهاوي (ت ٦١٢هـ): "سمعت منه بِحَرَّان مجلسا واحدا ولم أعد إليه؛ لأنَّه كان له خُلق، وكان عَسِرًا في التحديث"[٣٥].

والفهم المَرْضيُّ الذي يحملُ عليه قول العلماء في وصف الأعمش- رحمه الله- بسوء الخلق، هو الإشارة إلى حدّة طباعهِ، وشدّة عبارته، وشراسته في التعامل مع بعض الناسِ، لا أنَّ يقال: إنَّ فيه أخلاق السوءِ المفضيةِ إلى فعل المعاصي والمنكراتِ.

٢- **الاعتدادُ الزائد بالنفس،** ولعلّ ذلكَ متصلٌ بحدّة الطباع آنفة الذكر؛ فالمحدّث العسر قد لا يرى مثلَ نفسهِ من حيث أهليتهُ للجلوسِ لأكابر العلماء، وكذا أيضا لا يرى أحدًا غيره مؤهلا لإقبال الطلبةِ عليه والسماعِ منه ومن هؤلاء الأعمش، قال العجلي: "كان الأعمش ثقةً، ثبتا في الحديث، وكان كثير الحديث، وكان عالما بالقرآن، رأسا فيه، وكان قرأ على يحيى بن وثّاب، وكان فصيحًا، لا يَلْحِنُ حرفا وكان عالما بالفرائض، وكان فيه سوءِ خُلق ولم يكن في زمانه من طبقته أكثر حديثًا منه...". وأخرج العجلي بسنده – بعد كلام- قال : حدثنا أبو مسلم، حدثني أبي؛ أحمد، حدثني أبي؛ عبد الله قال: كان الأعمش يرفع يده فيصفَع منصور، ثم يقول: تأتي الزهري؟! أنا آتي الزهري. إنّ الرجل ليأتي من بلد من البلدان ما يريد غيري، فما يزالون حتى يفسدوه حتى يقول: ما لي لا أرى الأعمش في مجلسي". وحكى الذهبي قال: "قال أبو خالد الأحمر: سئل الأعمش عن حديث، فقال (أي: الأعمش) لابن المختار ترى أحدا من أصحاب الحديث؟ فغمّض عينيه، وقال: لا أرى أحدا يا أبا محمد،فَحدِّث به". وقال الإمام الذهبي: قال عيسى بن يونس أرسل الأمير عيسى بن موسى إلى الأعمش بألف درهم، وصحيفة ليكتبَ فيها حديثًا، فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم و((قل هو الله أحد)) ووجه بها إليه، فبعث إليه: يا ابن الفاعلة، ظننتَ أنّي لا أحسن كتاب الله؟! فبعث إليه (يعني الأعمش) أظننت أني أبيع الحديث؟ "[٣٦].

وأخرج ياقوت الحموي في معجم البلدان بسنده قال :" أخبرني القاضي أبو القاسم الحرستاني في كتابه، قال: أخبرني وجيه بن طاهر الخطيب بقصر الريح إذنًا، سمعت الحسن بن أحمد الحافظ، سمعت أبا بشر النيسابوري، يقول: سمعت أبا سعيد الإدريسي يقول: سمعت أبا حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابوري- الرجل الصالح بسمرقند- يقول: كُنَّا مع أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ) في بعض الطريق من نيسابور وكان معنا أبو حاتم البستي (ت ٣٥٤هـ) (يعني: ابن حبان) وكان يسأله ويؤذيه، فقال له محمد بن إسحاق بن خزيمة: **يا باردُ، تنحَّ** عني لا تؤذيني، أو كلمة نحوها، فكتب أبو حاتم مقالته، فقيل له: تكتب هذا؟!! فقال: نعم، أكتب كلَّ شيء يقوله"[٣٧].

فقول ابن خزيمة "لا تؤذيني" معناه: لا تلحّ عليّ بالسؤال، وفي عبارته نفَسُ التعسّرِ والتعنّتِ والاعتداد الزائد بالنفسِ وليسَ هذا هدي النبوة في التعليم، والحقُّ أحقُّ، ولا يُنكر أنه إمام الأئمة والعالم الكبير، وموقف ابن حبّان وكتابته لما تفوّه به شيخه في حقّه يدلان على سَعة صدره، وصبره على شيخه، وحبّه له، بل كان لا يرى في الدنيا مثله حتى قال: "ما رأيتُ على أديم الأرض مَن كان يحسن صناعة السنن، ويحفظ الصحاح بألفاظها، ويقوم بزيادة كل لفظة تزاد في الخبر، ثقة– حتى كأن السنن كلها نصب عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة – رحمة الله عليه – فقط "(٣٨).

٣- **تأثُّر الراوي بطباع شيخه وأخلاقه،** حكى الحافظ الذهبي قال: "روى شريك عن الأعمش، قال: لم يكن إبراهيم (يعني: النخعي) يُسند الحديث لأحد إلا لي؛ لأنه كان يُعجَب بي". وأخرج الخطيب بسنده، من طريق محمد بن يزيد الكوفي، قال: سمعت أبا بكر بن عياش، قال: كان الأعمش إذا حدث بثلاثة أحاديث قال: قد جاءكم السّيل قال أبو بكر (يعني:ابن عياش): وأنا مثل الأعمش"(٣٩).

ويظهرُ من كلام الأعمش عن شيخه النخعي إعجابه وتأثره بطريقته في بذل الرواية، والحال كذلك مع أبي بكر بن عياش برغم أني لم أقف– بعد البحث الدقيق– على مَن وصفه بالعسرة في الحديث.

٤- **التكبّر،** حكى الذهبي في ترجمة يحيى ابن علي الحُلْواني (ت ٥٢٠هـ) قال: "قال أبو سعد السَّمعاني: كان سيء الخُلق متكبرا عَسِرًا"(٤٠).

٥- **الضَّجر المفضي إلى عدمِ احترام الآخرين،** قال الذهبي في ترجمة أبي الفتح أحمد بن علي الغَزنَوي (ت٦١٨هـ): "قال ابن النجار: كان فاسد العقيدة، يَعِظ وينال من الصحابة شاخ وافتقر، وهجره الناس وكان ضجورًا عسرًا، مبغضًا لأهل الحديث" (٤١).

٦- **عدمُ الانبساط والارتياح القلبي لقوم دون قوم،** قال الإمام الذهبي: "عن أبي عَوانة قال: أعطيتُ امرأةَ الأعمش خِمَارًا فكنتُ إذا جئتُ أخَذَت بيده فأخرجته إليَّ فقلت له: إن لي إليك حاجة قال: ما هي؟ قلت: إنْ لم تقضها فلا تغضب عليَّ. قال: ليس قلبي في يدي، قلت: أملِ عليَّ ؟ قال:لا أفعل"(٤٢). وقال الذهبي: قال عيسى بن يونس أتى الأعمش أضيافٌ فأخرج إليهم رغيفين فأكلوهما فدخل فأخرج لهم نصف حبل قتٍّ، فوضعه على الخُوان وقال: أكلتم قوت عيالي فهذا قوت شاتي، فكلوه. وخرجنا في جَنازةٍ ورجل يقودهُ، فلما رجعنا عدل به فلما أصْحَر، قال: أتدري أين أنت؟ أنت في جبّانة كذا، ولا أردّك حتى تملأ ألواحي حديثا قال: اكتب فلما ملأ الألواح ردَّه، فلما دخل الكوفة دفع ألواحه لإنسانٍ، فلمَّا أن انتهى الأعمش إلى بابه تعلق به وقال: خُذوا الألواح من الفاسق، فقال: يا أبا محمد، قد فات. فلما أيس منه قال: كلُّ ما حدثتك به كذبٌ قال: أنت أعلم بالله مِنْ أنْ تكذب. قال عبد الله بن إدريس: قلتُ للأعمش: يا أبا محمد، ما يمنَعُك من أخذ شَعرك؟ قال: كثرة فضول الحجّامين. قلت: فأنا أجيئك بحجَّام لا يُكلمك حتى تفرُغ فأتيت جُنيدا الحجَّام وكان محدّثا فأوصيته فقال: نعم. فلما أخذ نصف شعره، قال يا أبا محمد، كيف حديث حبيب ابن أبي ثابت في المُستحاضة ؟ فصاح صيحةً، وقام يعدو، وبقي نصف شعره بَعدُ غير مجزوز، سمعها علي بن خَشْرم منه"(٤٣).

هذا ومِن الذين كان الأعمش ينبسط إليهم في التحديث؛ سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ) أخرج الخطيب بسنده، من طريق إبراهيم بن سعيد الجَوهري، قال: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: "كنت آتي الأعمش، فيحدثني، فلما كَثُرَ عليه الناس انتبه فسألته فامتنع عليّ، وقال لي: "إنَّ السوق قد نَفق"(٤٤). وممَّن كان ينبسط لهم الأعمش أيضا في الرواية عمرُ بن سعيد الثوري (قلت: هو أخو سفيان الثوري)؛ فقد أخرج العجلي بسنده، قال: "حدثنا محمد بن عبيد قال: أكثر ما سمعتُ من الأعمش في مجلس واحد تسعة أحاديث، أو أحد عشر حديثا؛ وذلك أنه أتاه عمر بن سعيد الثوري فانبسط إليه ثم قال: ما هذا السيل!!". هذا ومن الرواة الذين كانوا ينبسِطون لقوم دون قوم في الرواية الحكم بن هشام، قال

العجلي: "كان الحكم بن هشام عسرا في الحديث فلما جاءه ابن المبارك (ت ١٨٣هـ) انبسط إليه وحدَّثه وكان مؤاخيا لأبي حنيفة" (٤٥).

٧- **ضِيقُ صدرالراوي بغفلة بعض أهل بيته، أو لإصابته بآفة في بصره؛** فالأعمش ابتلي بالعَمَشِ، وبابنٍ فيه غفلة، حكى الإمام الذهبي قال: "قيل إنَّ الأعمش كان له ولد مغفل فقال له: اذهب فاشتر لنا حبلًا للغسيل فقال: يا أبة طول كم؟ قال: عشرة أذرع قال:في عَرض كم؟ قال: في عَرض مصيبتي فيك". وقال الحافظ المزي في ترجمة غسّان بن مُضر الأزدي النّمري المكفُوف (ت ١٨٤هـ): "قال الميموني عن أحمد: كان شيخا عسرا" (٤٦).

والذي يظهرُ لي أنَّ إصابة النّمري في بصره هي الحامل على تعسّره؛ فكفُ البصر يسبب الضجر ويضيّق الخُلُق، إلا مَن صَبر، والله أعلم.

هذا ولقد أوردَ الإمام الذهبي قصة الأعمش بصيغة التمريض، وكأنه لا يرتضيها ولئن صحّت فهي سبب من الأسباب النفسية التي جعلت الأعمش متعسّرًا في الرواية. ومع كلِّ ما ذكرنا عن الأعمش وما فيه من أخلاقٍ صعبة وحدّة في الطباع وما صدر عنه من ألفاظ غير محبوبة، ولا مرغوبة فلا نخرج عن قولة يحيى القطّان (ت ١٩٨هـ) فيه؛ فقد أخرج أبو نعيم في الحلية بسنده من طريق إبراهيم بن عَرعَرة قال: سمعت يحيى القطان إذا ذُكر الأعمش قال: كان من النُساك وكان محافظا على الصلاة في الجماعة، وعلى الصف الأول قال يحيى: وهو علامةُ الإسلام. (قال ابن عرعرة): وكان يحيى يلتمس الحائط حتى يقوم في الصفِ الأول"(٤٧).

ب- **الأسباب المالية:** ويرادُ بذلك أنَّ الرواة قد يقع منهم التعسّر في الرواية بسبب قضية مالية؛ فهناك من الرواة مَن هو فقير الحال، فيصير عسرًا لا يُحدِّث إلا إذا أعطي ثمنا على تحديثه ، حكى الذهبي قال: "قال خالد ابن سعد الأندلسي: سمعت سعيد بن عثمان الأعْنَاقي، وسعد بن معاذ، ومحمد بن فُطيس يحسنون الثناء على أحمد ابن أخي ابن وَهْب، ويوثقونه، فقال الأعناقي: قدمنا مصر، فوجدنا يُونسَ **أمرَهُ صعبًا**، ووجدنا أحمد أسهل، فجمعنا له دنانير، وأعطيناه، وقرأنا عليه "موطأ" عمه، وجامعه.

وسمعت ابن فُطيس يقول: فصار في نفسي، فأردت أن أسأل محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، فقلت: أصلحك الله، العالم يأخذ على قراءة العلم؟ فشعر فيما ظهر لي، أني إنما سألته عن ابن أخي ابن وهب، فقال لي: جائز، عافاك الله، حلال أن لا أقرأ لك ورقة إلا بدرهم، ومن أَخَذَني أنْ أقعد معك طُول النهار، وأدعَ ما يلزمني من أسبابي، ونفقة عيالي؟! ***قال الذهبي:*** "هذا الذي قاله ابن عبد الحكم متوجه في حق متسبب، يفوته الكسب، والاحتراف لتعوقه بالرواية، لما قال علي بن بيان الرزَّاز الذي تفرد بعلو جزء ابن عرفة، فكان يطلب على تسميعه دينارا: أنتم إنما تطلبون مني العلو، وإلا فاسمعوا الجزء من أصحابي؛ ففي الدرب جماعة سمعوه مني، (قال الذهبي): فإنْ كان الشيخ عسرًا، ثقيلا، لا شغل له، وهو غنيٌ فلا يعطى شيئا، والله الموفق"(٤٨).

هذا ومما ينبغي التنبيه عليه أنَّ هناك من كان يطغى على عسره ليس فقره وحسب، بل سوء خلقه، وبذاءة قوله، فينصرف القوم عنه، ومن هؤلاء أبو الفتح أحمد بن علي الغَزنَوِي (ت ٦١٨هـ) : حكى الإمام الذهبي قال "قال ابن النجار: كان فاسد العقيدة، يعظ، وينال من الصحابة شاخ وافتقر وهجره الناس، وكان ضجورًا عسرًا مبغضا لأهل الحديث، انفرد برواية جامع الترمذي وبمعرفة الصحابة لابن منده وكان يَسمع بالأجرة"(٤٩).

هذا وتجدر الإشارة إلى أنَّ هناك مَن عُرف بالتعسر في الرواية وكان فقيرًا وبرغم ذلك ما كان يقبل درهما على التحديث، ومن هؤلاء الأعمش – رحمه الله – قال الحافظ الذهبي: "قال عيسى بن يونس: أرسل الأمير عيسى بن موسى إلى الأعمش بألف درهم، وصحيفة ليكتبَ فيها حديثا فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم و(قل هو الله أحد) ووجّه بها إليه

فبعث إليه: يا ابن الفاعلة، ظننتَ أنّي لا أحسنُ كتاب الله ؟! فبعث إليه (يعني: الأعمش): أظننتَ أني أبيع الحديث؟!"(٥٠).

وقال الإمام الذهبي: "قال عيسى بن يونس: لم نرَ نحن مثل الأعمش، وما رأيت الأغنياء عند أحد أحقر منهم عنده، مع فقره وحاجته، قلت (أي : الذهبي) : كانَ عزيز النفس، قنوعًا، وله رزق على بيت المال في الشهر خمسة دنانير، قُرِّرَت له في أواخر عمره، وكان والد وكيع وهو: الجرَّاح بن مُليح على بيت المال، فلما أتاه وكيع ليأخذ، قال له: ائتني من أبيك بعطائي، حتى أحدِّثك بخمسة أحاديث"(٥١).

هذا وممَّن كان يتعسّر في الرواية فلا يُحدّث إلا بالأجرة مع عدم حاجته؛ شيخ البخاري هشام بن عمّار (ت٢٤٥هـ) حكى الإمام الذهبي قال: قال أبو أحمد بن عدي في "كامله": سمعت قُسْطَنطين بن عبد الله مولى المُعتمد، يقول: حضرت مجلس هشام بن عمار، فقال المستملي: مَن ذكرت؟ فقال: أخبرنا بعض مشايخنا، ثم نعس، ثم قال له: من ذكرت؟ فنعس، فقال المستملي: لا تنتفعوا به، فجمعوا له شيئا فأعطوه. فكان بعدَ ذلك يُملي عليهم حتى يملوا.

وقال محمد بن أحمد بن راشد بن معدان الاأصبهاني: سمعت ابن وارة، يقول: عزمت زمانا أن أمسك عن حديث هشام بن عمار؛ لأنه كان يبيع الحديث.

قلت: (أي: الذهبي): "العجَبُ من هذا الإمام مع جلالته، كيف فعل هذا، ولم يكن محتاجًا؟!! وله اجتهاده. قال صالح بن محمد جَزرة: كان هشام بن عمار يأخذ على الحديث، ولا يحدث ما لم يأخذ، فدخلت عليه، فقال: يا أبا علي، حدثني بحديث لعلي بن الجعد، فقال: حدثنا ابن الجعد، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: عَلِّم مَجَّانا كما عُلِّمْتَ مَجَّانا.

قال: تعَرَّضت بي يا أبا علي ؟ فقلت: ما تعرضتُ، بل قصَدتُك.

وقال صالح أيضا: كنت شارطتُ هشاما أن أقرأ عليه بانتخابي ورقة، فكنت آخذ الكاغد الفرعوني (يعني: الورق)، وأكتب مُقرمطًا فكان إذا جاء الليل أقرأُ عليه إلى أن يصلي العتمة، فإذا صلى العتمة، يقعدُ وأقرأ عليه، فيقول: يا صالح، ليس هذه ورقة، هذه شُقة.

(وعن) الإسماعيلي (قال): أخبرنا عبدالله بن محمد بن سيار، قال: كان هشام بن عمار يلقَّن، وكان يُلقن كل شيء مَا كان من حديثه. فكان يقول:أنا قد أخرجت هذه الأحاديث صحاحًا.

وقال الله تعالى: **﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾** [البقرة :١٨١] قال: وكان يأخذ على كل ورقتين درهما، ويشارط، ويقول: إنْ كان الخط دقيقًا، فليسَ بيني وبين الدقيق عمل"(٥٢).

وتجدرُ الإشارة إلى أنَّ أخذ الأجرة على التحديث جائز عند العلماء على الراجح، وليس هذا الأمر موضع بحثنا، غيرَ أنَّ اتكاء المحدّث على التعسّر في الرواية ليكون سببا في نيله الأجرة، شيءٌ مكروه بل قد يصل الحرام ؛ لأنه يفوّتُ ويكتم العلم على مَن يطلبه، وليس كل أحدٍ يطلبُ العلم لديه مالٌ يسمع به، والله أعلم وأحكم.

ج- **الأسباب العلمية:** ونقصد بذلك أنَّ هناك أسبابا تتعلق بالشأن العلمي لبعض الرواة تحملهم على التعسّر في الرواية ومن ذلك:-

١- **الضعف والجهل في ميدان الرواية من حيثُ الضبط والإتقان**؛ فقد كانَ التعسر وسيلة يغطي ويستر بها بعض الرواة على ضعفهم، ويتمنّعون به، ولقد نصَّ أئمة الشأن على أنّ تعسّر الراوي في الرواية هو أحد أمور ثلاثةٍ تغطّي عيوبه؛ أخرج الخطيب بسنده، من طريق محمد بن حاتم بن ميمون، قال: سمعت عبد الرحمن، يعني: ابن مهدي، يقول: "يُغطي عيوب الشيخ ثلاثة أشياء: **عُسرته**، وحفظه، وبعد منزله" (٥٣).

قلتُ: إنَّ ذلك؛ لأنَّ المعسر يحُول بتمنُّعه عن الرواية دون اكتشاف مواطن الخلل في حديثه، والحافظ يبهر الأسماع بغزارة مروياته فيصرفهم عن التفتيش فيها، والنقد لها، وأمَّا بعد منزل الشيخ فيجعل الطلبة يزهدون في الارتحال إليه؛ فلا يُسبَرُ حديثه.

ومن هؤلاء جرّاح بن مُليح الرؤاسي (ت ١٧٥هـ) وهو والد وكيع، قال ابن سعد في ترجمته: "هو أبو وكيع بن الجراح، وَلِي بيت المال بمدينة السّلام في خلافة هارون، وكان عسرًا في الحديث ممتنعا به"(٥٤). وقال الخطيب في ترجمته: "وكان ضعيفا في الحديث، وكان عسرًا في الحديث ممتنعا به، أخبرنا محمد بن عمر بن القاسم النَّرسي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، حدثنا جعفر الطيالسي، قال: سمعت يحيى بن معين يقول: ما كتبت عن وكيع عن أبيه ولا من حديث قيس شيئا قط ... (قال الخطيب): أخبرنا البُرقاني حدثنا محمد ابن عبد الله بن خَمِيْرويه الهروي أخبرنا الحسين بن إدريس قال: قال ابن عمار: أبو وكيع ضعيفٌ. وأخبرنا البُرقاني قال: سألت أبا الحسن الدارقطني، عن الجراح أبي وكيع؟ فقال: ليس بشيء؛ هو كثير الوهم قلت: يعتبر به؟ قال: لا"(٥٥). هذا وقد يتصوّر أحدهم من هذا المثال سؤالا مفادهُ: هل الراوي يحكُم على نفسهِ؟ والجوابُ: نعم. فإنَّ الراوي أدرى بحالهِ في مسألة الضبطِ والإتقان، إلا أنْ يقال: هل يدري أنه تلقّن وأُدخل عليه ماليس بحديثه أم لا؟ أو أنه غُرر به فوقع على رواةٍ متهمين بالكذب أو كذّابين فحدّث عنهم؟ فحينئذ يكون الجواب: هذا أمر مختلف، ليس هو المقصود، والمراد هنا في هذا المثال، الإشارة إلى تغطية الراوي وجْه ضعفه المعهود في نفسه وهو الضبط أي: أنّه يلبس قميصَ التعسّر ليدرأ عن نفسهِ الضعف في ضبطه.

وممن كان يستر ضعفه وجهله في الرواية بتعسّره:علي بن محمد بن المعلى الشّونيزِي (ت ٣٦٤هـ) حكى الخطيب: "عن أبي الحسن بن الفرات، قال: أخبرني علي بن محمد بن المعلى الشُّونيزي أن مولده سنة ثمان وسبعين ومائتين وكان قد كتب كتابًا كثيرًا، ويَفهم من الحديث بعض الفهم، وفيه بعض التساهل، وكان عسرا في الحديث قبيح الأخلاق وله مذهب في التشيع"(٥٦).

ومنهم كذلك: طاهر بن سهْل الإسْفراييني (ت ٥٣١هـ) شيخٌ لابن عساكر قال عنه في تاريخ دمشق: "كان شيخنا عسرا مع جهله بالحديث.. رأيته قد حكَّ سَماعَ أخيه من أبيه بكتاب الشهاب عن القضاعي وأثبت اسمه، فنسأل الله السلامة"(٥٧).

وكذا أيضًا: هبةُ الله ابن طاووس البغدادي (ت ٦١٨هـ) قال الإمام الذهبي: "كانَ عسرًا في الرواية لا يُحدِّث إلا من أصل وكان كثير التلاوة، ولم يكن يدري فن الحديث"(٥٨).

٢- **أنْ يعاني الراوي من عَيبٍ في النطق يحول بينه وبين الرواية بشكل سليم؛** فمَن أراد الرواية عنه عرض عليه هذا، وقد يرى البعض أنَّ هذا السبب سبب جسدي يُفضي إلى حالة نفسية، تمنعه من الرواية، غيرَ أنّي جعلته في الأسباب العلمية لكون اللسان هو آلة ضبط الحروف المنطوقة والتي تُبرز ألفاظ المروي، الأمر الذي قد يوقع الراوي في الغلط والتصحيف، وعليه فالعيب في النطق سبب علمي، باعتبار النتيجة التي يَخشى الراوي العسر الوقوع فيه؛ لأنه قلّ أن يجد من يحب من الرواة أن يعرض عليه، والله أعلم.. حكى الذهبي في ترجمة نصر بن أحمد ابن البَطِر البغدادي (ت ٤٩٤هـ) قال: "قال السلفي: دخلت بغداد.. فبادرت إلى ابن البَطِر فدخلت عليه، وكان عسرا، فقلت: قد وصلت من أصبهان لأجلك، فقال: **اقرأ، ونطق بالراء غينا** فقرأت متكئا من دَماميل بي، فقال: أبصر ذا الكلب، فاعتذرت بالدماميل وبكيتُ من كلامه، وقرأت سبعة وعشرين حديثًا، وقمت، ثم ترددتُ إليه فقرأت عليه خمسة وعشرين جزءًا، ولم يكن بذاك"(٥٩). فقول السّلفي عن ابن البطَر:"ولم يكن بذاك" – فيما يظهر لي فيه إلماح منه إلا أنه لا معوّل عليه في التصويب أثناء العرض بسبب آفة النطق عنده، والله أعلم.

٣- **أن يقصِد الراوي تركيز حفظ المتلقّي عنه، وإطالةِ ملازمته له** ؛ فإنّ تباعُدَ الفترة الزمنية في الحفظ بين الأحاديث، أدعى لكي تستقرَّ في ذهن طالبِ العلمِ، ويعيها قلبه، أخرج الخطيب بسنده من طريق سعيد بن حرب، قال: سمعت شعبة، يقول: "اختلفتُ إلى عمرو بن دينار خمسمائة مرة (يعني: تردّدت عليه)، وما سمعت منه إلا مائة حديث، في كل خمسة مجالس حديث".

ووجه الدلالة أنَّ تَرَدُّدَ شعبة خمسمائة مرّة على عمرو بن دينار ليسمع منه فيها ١٠٠ حديث أي: بمعدل خمسة أحاديث في كلِّ مرّة – وشعبة مَن هو في الحفظ والتثبتِ- يَظْهَرُ منه أنَّ تعسّر عمرو غايته منهجية ؛ فهو يُقلُّ من كمّ ما يُحدّثُ بهِ حتى يُضبط عنه ويتركّز في ذهن المتلقي عنه. وفي هذا السياق ينصحُ الخطيب البغدادي طالب الحديثِ عقب قصة شعبة قائلا: "فإذا كان المُحَدِّث مِمَّن يتمنّع بالرواية،ويتعسر في التحديث، فينبغي للطالب أن يلاطفه في المسألة، ويرفق به ويخاطبه بالسؤدد، والتفدية، ويديمُ الدعاء له، فإن ذلك سبيل إلى بلوغ أغراضه منه". وقال الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة الحسين بن فَهم (ت ٢٨٩هـ): "كان ثقة، وكان عسرا في الرواية، متمنعا إلا لمن أكثر ملازمته، وكان له جلساء من أهل العلم يُذاكرهم، فكتب جماعة عنه على سبيل المذاكرة" وقال ابن نقطة في ترجمة عبد القادر بن عبد الله أبي محمد الرَّهاوي (ت ٦١٢هـ): "كان عالما، صالحا، ثقة، مأمونا، سمعت منه بحرَّان مجلسًا واحدًا ولم أعد إليه ؛ لأنه كان له خُلُق وكان عسرًا في التحديث، لا يكثر عنه إلا من أقام عنده"(٦٠).

٤- **تربية طلبة العلم على اليقظة وسرعة الحفظ وحسن الفهم والاسيتعاب؛** فمِن الرواة من كان يتعسر حتى في إعادة الرواية ثانية على مسمع المتلقي؛ بقصد تربيته على ضرورة التيقظ، وسرعة البديهة، وحسن الوعي حين التلقِّي، أخرج الخطيب بسنده عن ابن عمّار الشهيد أنه قال في ترجمة حفص بن غياث: "قال ابن عمار: كان لا يرُدُّ على أحد حرفا؛ يقول: لو كان قلبك فيه لفهمتَه، وكان عسرًا في الحديث جدا، ولقد استفهمه إنسان حرفا من الحديث، فقال: لا والله لا سَمِعْتَها مني، وأنا أعرفُك". ووجه الدلالة في هذا المثال هو تعسّر الراوي في التحديث من حيثُ الإعادة؛ ليُذكي في نفسِ السامع روح اليَقظة، وسرعة الحفظِ، وحسنَ الفهم والاستيعابِ. وحكى الحافظ المزي قال: "قال أبو القاسم البغوي: رأيت في كتاب علي بن المديني إلى أحمد بن حنبل، وحدّثني صالح بن أحمد عن علي قال: سمعت يحيى ابن سعيد (هو القطّان) يقول كان ابن أبي ذئب (ت ١٥٨هـ) عسرا قال عليٌ: قلتُ:عسرا؟! قال: أعسرَ أهل الدنيا؛ إنْ كان مَعَك كتاب قال: اقرأه وإن لم يكن معك كتاب فإنما هو حفظ، قال علي: فقلت ليحيى: فأخبرني عن ابن أبي ذئب، ومَن كُنتَ تحفظ عنه-كيف كُنت تصنع فيه؟ فقال: كنت أتحفظها وأكتبها" (٦١).

ومقتضى المثال أنَّ الراوي يقبل مَن يعرِضُ عليه من كتابٍ، لكنْ من عُسرته يرفضُ الإملاءِ الذي يستلزم الإعادة، والعمدة لمن يسمعه أنْ يحفظَ عنهُ؛ فمن لم يكن يقظًا سريع الحفظ فاتته الرواية، وهذا الأسلوب يحفّز طلبة العلم على مزيد التيقّظ وقوّة الحافظة، والله أعلم.

٥- **تأخُّرُ الراوي عن التحديث حتى يبلغ مبلغ النضج والاستيعاب في الرواية أو لانشغاله بالفقه والنظر في المسائل على حساب التحديث،** قال الخطيب في ترجمة الحسن بن أحمد بن صالح السَّبيعي (ت ٣٧١هـ): "كان ثقة، حافظًا، مُكثرًا، وكان عسرًا في الرواية، ولمّا كان بآخرة عزم على التحديث والإملاء في مجلس عام فتهيأ لذلك، ولم يبقَ إلا تعيين يوم المجلس فمات "فتأخُّرُ السّبيعي متعسّرا عن التحديث مع كونه ثقة، حافظًا، مكثرًا، باعثُهُ – فيما يظهر والله أعلم- انتظاره حتى يستكمل ويستوعب في نفسه متطلباتِ الرواية جمعا وضبطا بصورة أكثر نضجا وتمكّنا، قال الحافظ المزي في ترجمة الحسين بن الوليد الفقيه القرشي الملقّب بكُميل (ت ٢٠٢هـ): "قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: [حسينٌ] ثقة، وأثنى عليه خيرًا، وقال سلمة ابن شبيب: سمعت أحمد بن حنبل يقول: دَلَّني عبد الرحمن بن مهدي على حسين بن الوليد، وكان حسينُ عسرًا في الحديث فدخلتُ عليه، فإذا في يده كتابٌ فيه رأي أبي حنيفة، فقال

له عبد الرحمن: سَلْني عن كل مسألة في كتابك حتى أحدثك فيها بحديث؟"[٦٢]. فمقتضى هذا المثال أنَّ باعث عسرة حسين بن الوليد في التحديث هو انصرافه للنظر في آراء أبي حنيفة في المسائل الفقهية؛ فهذا الاهتمام منه مقدّمٌ عنده على التحديث.

د- **الأسباب الدينية:** والمراد بذلك أنَّ هناك أسبابًا تتعلق بديانة الراوي، تؤثر على نظرته إلى طبيعة مهمة التحديث وقيمتها، بحيث تجعله عسرًا في الرواية، مقلّا من التحديث، ومن ذلك:

١- **حرص الراوي على صيانة علم الحديث ديانة عن أيدي الجهلة الذين لا يتقنون القيام به،** قال الخطيب: "دفع إليَّ علي بن محمد بن عبد الله المقرئ الحذّاء كتابه فقرأت فيه: أخبرنا أحمد ابن جعفر بن سالم، أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الخالق، حدثني يعقوب بن يوسف أبو يوسف، قال: قال محمد بن عبد الوهاب السُّكَّري: "كان سفيان (يعني: الثوري) إذا رأى هؤلاء النَّبَط يكتبون الحديث، تغير وجهه، ويشتدُّ عليه، قال: فقلت: له يا أبا عبد الله! نَراك إذا رأيت هؤلاء يكتبون العلم يشتد عليك ؟ قال: فيقول: "كان العلم في العرب، وسادة الناس، فإذا خرج من هؤلاء وصار في هؤلاء – يعني النبط والسَّفَل – غيّروا الدين". وحكى الإمام الذهبي قال: "قال محمد بن عبد الوهاب الفراء: ما رأيتُ في العُسرة مثل علي بن عثَّام وكان يقولُ: الناس لا يُؤتون من حِلْمٍ؛ يجيء الرجل فيسأل، فإذا أخذ غلط ويجيءُ الرجل فيصحِّف، ويجيء الرجل يأخذ ليماري، ويجيء الرجل يأخذ ليباهي، وليس عليَّ أن أعلِّم هؤلاء إلا مَنْ يهتمُّ لأمر دينه"[٦٣].

٢- **كان بعض أئمة الشأن يرون ورعا منهم أنّ التحديث لكل أحد هو من قبيل إهانة العلم،** وإنما هو لمن يستحقه من طلبة العلم ذوي الإتقان؛ فقد أخرج الخطيب بسنده من طريق العباس بن الوليد بن مزيد، يقول: سمعت أبا مِسْهَر يقول: سمعت مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)، يقول: "مِنْ إهانة العلم أن تُحدث كلَّ من سألك". هذا ومِمّن يُحمل تعسّره على هذا السبب – وكأنَّ الإمام مالك تأثّر به فيه – نافع مولى ابن عمر – رضي الله عنهما– وهو شيخ مالك، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: "سمعتُ أبي يقول: كان في نافع مولى ابن عمر عُسْرٌ في الحديث"[٦٤].

هذا وينبغي التنبيه على أنه إذا كان الراوي الْمُتلقي من ذوي الإتقان، ترى الشيخ ينبسط له في الرواية برغم عسره، قال ابن عساكر في ترجمة شيخه ابن الأكْفاني (٥٢٤هـ): سمعت منه الكثير، وكان ثقة، ثبتا، متيقظا، معنيًّا بالحديث، غير أنه كان عسرا في التحديث"[٦٥] .

٣- **رغبةُ بعض الرواة في الانقطاع للعبادة والطاعة دون الرواية والتحديث؛** قال الخطيب في ترجمة عبد الله بن إبراهيم الجُرجاني الآبَنْدُونِي (ت ٣٦٨هـ): "قال لنا أبو العلاء (الواسطي): لم أرَ في شيوخنا الغرباء مثل الآبَندوني، وسمعت منه في سنة ست وستين وثلاثمائة، وكان عسرًا في الحديث... قال الخطيب: سمعت البرقاني ذكر الآبندوني، فقال: كان محدِّثا، قد أكل ملحَهُ، وسافر في الحديث إلى خراسان، وفارس، والبصرة، والشام، ومصر، وكان زاهدا متقللا، ولم يكن يُحدِّث غيرَ واحد منفردا، قيل له في ذلك فقال: أصحاب الحديث فيهم سوء وُضوء، وإذا اجتمعوا للسماع تحدثوا، وأنا لا أصبر على ذلك"[٦٦] وقال الخطيب في الكفاية: "كان شيخنا أبو بكر البرقاني يقول – فيما رواه لنا عن أبي القاسم عبد الله بن إبراهيم الجُرجاني المعروف بالآبندوني– :سمعتُ ولا يقول: حدثنا، ولا أخبرنا، فسألته عن ذلك؟ فقال: كان الآبندوني عسرًا في الرواية جدًا، مع ثقته وصلاحه وزهده، وكنت أمضي مع أبي منصور بن الكرجي إليه فيدخل أبو منصور عليه، وأجلس أنا بحيث لا يراني الآبندوني، ولا يَعلمُ بحضوري، فيقرأ هو الحديث على أبي منصور، وأنا أسمع، فلهذا أقول فيما أرويه عنه: سمعتُ ولا أقول حدثنا، ولا أخبرنا؛ لأن قصده كان الرواية لأبي منصور وحده"[٦٧]. حكى الإمام الذهبي قال: "وقال يحيى الوحّاظي: سألت سعيد بن عبد العزيز عن حديث فامتنع علي، وكان عسرا، وكذا قال أبو مسهر عنه. **قلت** (يعني: الذهبي): شاخَ وضاقَ خُلُقه، واشتغل بالله عن الرواية"[٦٨].

هذا وبالجملة فإنه إذا نظرنا في أسباب التعسّر آنفة الذكر وجدنا أنَّ معظمها ليست أسبابا حميدة الغاية والمقصِد، وسيأتي بيان أبرز آثارها السلبية في المطلب الخامس، والحقُّ أنَّ أنبل تلكم الأسباب هي العلمية منها وبعض الأسباب الدينية، من مثل **حرص الراوي على صيانة علم الحديث ديانة عن أيدي الجهلة، الذين لا يتقنون القيام به**، وكذا مَنْ **يرى من أئمة الشأن ورعًا أنّ التحديث لكل أحد هو من قبيل إهانة العلم**.وهذه الأسباب يمكن وصفها بالمحمودة.

أمَّا ما كانَ باعثه **رغبة بعض الرواة في الانقطاع للعبادة، والطاعة دون الرواية، والتحديث**، فهذا سببٌ مذموم غير وجيه، بل هو غير مرضِيّ شرعًا؛ لأنه ليس مِن تعارضٍ بين العبادة والطّاعة، وبينَ أداء العلمِ، فالنبي ﷺ كانَ أعبدَ النّاسِ، وكذا أصحابه الكرام، ومع ذلكَ كانَ يُواصل ﷺ وإياهم الدعوة والتبليغ لتعاليم الإسلام دونما كلل أو ملل؛ فالإسلام دين علم وعمل معًا. وسيأتي أيضا مزيدُ بيانٍ للآثار السلبية الناجمة عن أسباب التعسر المذمومة.

المطلب الخامس: آثار التعسر في الرواية

إنّ التعسّر في الرواية يعدُّ من المظاهر السلبية في بيئة أهل الحديث بوجه عام، وكما أسلفتُ، فإنَّ منهج جيل الصحابة والتابعين وتابعيهم في الإقلال من الرواية، كان مردّه حرصهم على الحديث النبوي الشريف، والاحتياط لدينِ الله – تعالى– ولسنا ننكر أنّ هذا الهمّ وهذا الهاجس قد حمله المحدِّثون عبر سائر العصور، غير أنَّ التعسر– وإن كان ظهر فيه بعض اللمحات الإيجابية من مثل:

أ- تركيز حفظ المتلقّي عنه وإطالة مدة ملازمته له إن كان يطمح في استيعاب أكبر قدر ممكن من مروياته.

ب- تربية طلبة العلم على اليقظة، وسرعة الحفظ والفهم والاسيتعاب.

نعم. إن كُنا لمسنا ذلك؛ فتلك اللمحات تبقى فردية في إطار بيئة الرواة الذين عرف عنهم التعسر في الرواية، والحقيقة أنّ التعسر يمثل بمُجمله صورة غير محببة، ولا مرغوبة، وما يحملنا على هذا القول آثاره السلبية على واقع علم الرواية، ومن أبرز تلك الآثار:

١- **أنَّ التعسر لم يكن في جُلّه منهجا علميا عند كثيرٍ من الرواة الذين عرفوا بالتعسّر**، بل غلب على طبع ونفسية صاحبه المزاجية وسوءُ الخُلق وحدّة الطبع، وهذا لا ينسجم مع حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه: إنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا"(٦٩).

٢- **شكّل التعسر ذريعة يسوغ بها الرواة أحاديث الوضّاعين، والأحاديث الغرائب**؛ قال ابن عدي في الكامل: "حدثنا موسى بن الحسن الكوفي بمصر حدثنا محمد بن سَنْجر الجُرجاني، حدثنا داود بن مِهران الدباغ، حدثنا محمد بن الحجاج الواسطي– **وكان ثقة عسرا**، عن عبد الملك بن عمير، عن ابن أبي ليلى، عن ابن أبي ليلى، ورِبْعِيّ بن خِراش عن حذيفة قال رسول الله ﷺ لجبريل: أطعمني هريسة أشد بها ظهري لقيام الليل؟

قال الشيخ **(يعني: ابن عدي)**: وهذا الحديث موضوع مما وضعه محمد بن الحجّاج".

وقال ابن عدي في ترجمة محمد بن الحجاج قبل إيراده الحديث: "محمد بن الحجاج اللَّخمي واسطي صاحب الهريسة يكنى أبا إبراهيم، حدثنا أبو يعلى سمعت يحيى بن معين: فذكر له حديثا يحدث به يحيى بن أيوب عن محمد بن الحجاج في الهريسة فقال: سمعت منه وكان صاحب هريسة كذابٌ خبيث"(٧٠). وقال ابن عدي: "حدثنا أحمد بن نُوكَرد، حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، حدثنا محمد بن الحجاج المصفِّر– **وكان عسرا**، حدثني عبد العزيز بن محمد الجُهني، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ:لا يحلُّ لمسلم أن يَهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلاّ أن يكون ممّن لا يُؤمن بوائقه "قال الشيخ **(يعني:ابن عدي)**: وهذا غريب المتن غريب الإسناد".

وقال ابن عدي في ترجمة محمد بن الحجاج المصفِّر قبل إيراده الحديث: حدثنا بن حماد حدثنا عباس (الدوري) عن يحيى (هو: ابن معين) قال :محمد بن الحجاج المصفر، ليس بثقة. (قال ابن عدي): حدثنا ابن حماد حدثني عبد الله (هو: ابن أحمد بن حنبل) سألت أبي عن محمد بن الحجاج المصفر؟ فقال: قد تركتُ حديثه أو تركنا حديثه، (قال ابن عدي): سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: محمد بن الحجاج المصفر أبو عبد الله كان ببغداد روى عن شعبة، سكتوا عنه، وقال النسائي: محمد بن الحجاج المصفّر، متروك الحديث" وقال ابن عدي في آخر ترجمته: ولمحمد بن الحجاج غير ما ذكرت والضعف على حديثه بيّن"[٧١].

قال ابن عدي: "حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد حدثنا حسن بن مكرم حدثنا عبد العزيز ابن أبان قال: قلت لشعبة: تحفظ عن عمرو ابن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي؟ قال: "لا جمعة ولا تشريق إلا في مصر جامع" فقال: هذا منكر من حدَّث به؟ قلت: حدثنا أبو إسرائيل، قال: ومَن أبو إسرائيل؟ قلتُ: شيخٌ من أهل الكوفة، قال: لا أعرفه. قلت: **إنّ فيه عسرًا**. قال أيش له؟ سمعت أحمد بن محمد بن سعيد يقول: سمعت الحضرميَّ يقول: سمعت يحيى الحَمَّاني يقول: سألت أبا إسرائيل عن هذا الحديث يعني: "لا جمعة ولا تشريق إلا في مِصْرٍ جامع" قال: يا صبي، تريد أن تسمعه مني والله لا تسمعه منِّي أبدا"[٧٢].

٣- **تفويت العُلو في الإسناد عند الحاجة إلى حديثه فيروى الحديث عن الراوي المتعسّر بنزول،** قال ابن ماكولا في ترجمة عبد الله ابن داود الخُريبي (ت ٢١٣هـ): "كان عَسرا في التحديث"[٧٣] قال الذهبي: "لقيه البخاري، ولم يسمع منه، واحتاج إليه في الصحيح فروى عن مسدَّد (يعني: ابن مسرهد) عنه، وعن الفلاس عنه، وعن نصر ابن علي عنه، وتركَ التحديث تدينا؛ إذ رأى طلبهم له بنية مدخولة"[٧٤].

فلننظر كيفَ لم يعُد يميز الخريبي – غفر الله له – بسبب تعسره في الرواية تدينا بين مَنْ طلب الحديث بنية مدخولة، وبين الإمام الورع التقي الصادق محمد بن إسماعيل البخاري إمام الدنيا وجبل الحفظ!!.

٤- **يفتحُ التعسر في الرواية – سيما في الراوي المغمور– بابا لاستنكار أحاديثه؛** نظرا لأنّ تلك الأحاديثَ يقع سماعها من الراوي المتعسِّر مِنْ أفراد قلائل فتصير مظنة للغرابة والنكارة قال الذهبي في ترجمة عبد السلام بن حرب المَلائي البصري (ت ١٨٧هـ): "قال يعقوب بن شيبة: ثقة، وفي حديثه لين، و**كان عسيرا** في الحديث سمعت ابن المديني يقول: كان يجلس في كل عام مرة مجلسا للعامة، فقيل لعلي: أكثرتُ عنه؟ قال: نعم. سمعت له مجلس العامة، وقد كنتُ أستنكر بعض حديثه، حتى نظرتُ في حديث من يكثر عنه فإذا حديثه مقارب عن مغيرة والناس؛ وذلك أنه **كان عسرا** فكانوا يَجمعون غرائبه في مكان فكنتُ أنظر إليها مجموعة فاستنكرتها ، وقال يحيى ابن معين: ثقة، والكوفيون يوثقونه، وقال القواريريُّ: أتيتهُ فقلت: حدثني؛ فإنّي غريب من البصرة ؟ فقال: كأنك تقول: جئتُ من السماء؟! فلمْ يحدِّثني"[٧٥].

٥- **يُسهمُ التعسّر في فَوات علم الراوي؛** سيما إذا كان ثقة متقنًا وبالغ في تعسره حتى اخترمته المنيّة، قال الخطيب: "في ترجمة الحسن بن أحمد بن صالح السبيعي (ت ٣٧١هـ): "كان ثقة حافظا مكثرًا، **وكان عَسِرًا في الرواية،** ولمَّا كان بآخِرةِ عزم على التحديث والإملاء في مجلس عام، فتهيأ لذلك، ولم يبق إلا تعيين يوم المجلس فمات" [٧٦].

٦- **إنّ التعسّر في الرواية يُربك أئمة الشأن من المحدِّثين في تقييم حجم مرويات الراوي،** قال الذهبي في ترجمة إبراهيم بن الحسين بن دَيْزِيل (ت ٢٧٧هـ): "كان يلَقَّب بدابة عفان (يعني: ابن مسلم الصفار) لملازمته له ويلقب بسيفنة؛ وسيفنةُ طائر ببلاد مصر لا يكاد يحط على شجرة إلا أكَل ورَقها حتى يُعَرِّيها فكذلك كان إبراهيم إذا ورد على شيخ لم يُفارقه حتى يستوعبَ ما عنده... قال القاسم بن أبي صالح: سمعت إبراهيم بن دَيْزِيل يقول: قال لي يحيى بن معين: حدثني بنسخة الليث عن ابن عجلان، فإنها فاتتني على أبي صالح. فقلت: ليس هذا وقته. قال: متى يكون؟

قلت: إذا متَّ.... قال **صالح بن أحمد في "تاريخ همذان"**: سمعت جعفر بن أحمد يقول: سألت أبا حاتم الرازي، عن ابن دَيزيل، فقال: ما رأيت، ولا بلغني عنه إلا صدق وخير، وكان معنا عند سليمان بن حرب، وابن الطباع. قلت: فعند أبي صالح؟ قال: لا أحفظه. قلت: فعند عفان؟ قال: ولا أحفظه، غير أني قد التقيت معه في غير موضع، وليس كل الناس رأيتهم أنا عند المحدثين. قال جعفر: فعارضَني رجل، فقال: يا أبا حاتم! يُذكر أن عنده عن عفان ثلاثين ألف حديث.

قال أبو حاتم: من ذكر أن عنده عن عفان ثلاثين ألف حديث، فقد كذب؛ كان **عسرا في التحديث**، كنت أختلف إليه ثلاثة عشر شهرا، ما كتبت عنه إلا مقدار خمسمائة حديث.

قلت: يا أبا حاتم نكذب على إبراهيم؟!" [٧٧].

حكى الحافظ ابن حجر في لسان الميزان قال: "قال صالح (يعني: الهمذاني، صاحب تاريخ همذان): وسمعت القاسم ابن أبي صالح، يقول: سمعت إبراهيم بن الحسين، يقول: سمعت حديث همام، عن أبي حمزة، "كنت أرفع الزحام عن ابن عباس"، عن عفان، عنه أربع مائة مرة؛ لأنه كان يُسأل عنه .

قال صالح (يعني: الهمذاني): فمن يواظب هذه المواظبة، يُنكر عليه الإكثار عن مشائخه؟!"[٧٨].

فلنتأمل كيف أن تعسّر ابن ديزيل جعل أبا حاتم يستنكر ويكذّب حجم روايته عن شيخه عفّان بن مسلم الصفّار برغمِ أنَّ ابن ديزيل لقّب بدابة عفّان لملازمته إياه وبسفينة لاستيعابه ما عند شيخ من الشيوخ، إذا وردَهُ يسمع منه.

٧- **يشكل التعسّر بالنسبة للرواة الضعفاء وسيلة للتغطية على ضعفهم، وعجزهم، وجهلهم في ميدان علم رواية الحديث،** قال عبد الرحمن بن مهدي: "يُغطي عيوبَ الشيخ ثلاثة أشياء: **عُسرته،** وحفظه، وبعد منزله"[٧٩] ومن هؤلاء الجرَّاح بن مُليح الرؤاسي (ت ١٧٥هـ) قال الخطيب عنه: "كان ضعيفا في الحديث، وكان عسرا، في الحديث ممتنعا به"[٨٠]. هذا وقد تقدّم ذكر غير واحد ممن هذا وصفه في أول سبب من الأسباب العلمية التي تحمل الراوي على التعسر فليراجع في موضعه.

٨- **إنَّ التعسر قد يبلغ بصاحبه حدّا يفقده القيم والأدب،** وهذا الأمر غير سوء الخلق، وغير التكبر؛ فترى أحدهم يسافر يقصد راويا ليسمع منه فيقف على بابه يومين؛ ليسمع منه فلا يظفر بعد هذا الجهد إلا بحديثين ، قال المزي في ترجمة إبراهيم بن عقيل بن معقل بن منبه الصنعاني: "قال عبد الله بن أحمد بن حنبل قال أبي: إبراهيم ابن عقيل بن معقل أبو إبراهيم كان عسرا يعني: إبراهيم؛ لا يوصل إليه، فأقمتُ على بابه ظاهرا يوما أو يومين حتى وصلت إليه فحدثني بحديثين وكان عنده أحاديث عن جابر، فلم أقدرْ أن أسمعَها من عسره، ولم يحدثني بها إسماعيل بن عبد الكريم؛ لأنه كان حيًّا فلم أسمعها مِن أحد"[٨١].

٩- **إنّ التعسّر من قِبل الراوي يكون سببًا لجفوة التلاميذ له، وانقباض نفوسهم من صنيعه،** قال الحافظ المزي في ترجمة هنّاد ابن السَّري (ت ٣٣١هـ): ذكره الحافظ أبو الحسن محمد بن أحمد بن حماد بن سفيان الكوفي فيمن مات سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وقال: كان ثقة، عسرًا في الحديث، كتبتُ عنه، ولم أحضر جنازته".

وحكى البُرذعي في سؤالاته، قال: "قال لي أبو زرعة: كان المؤمل بن إهاب ببغداد، فقلت لأبي بكر الأعين: امض بنا إليه، فقال: إنه يتعسر، قلتُ: فدعه إذا. قال أبو زرعة: قلَّ ما سَهُلَ عليَّ احتمال العسرة .."[٨٢].

وهكذا نرى أنَّ قول أبي الحسن الكوفي: "لم أحضر جنازته" مقصود لذاته، وإلا فلا معنى له ؛ إذ ليس من عادة من يروي حين يترجم لشيوخه أن يقول: فلان حضرتُ جنازته وفلان لم أحضر - وكأنَّ أبا الحسن قد وجدَ في نفسه من تعسّر شيخه، والله أعلم.

وكذا نلاحظ انقباض نفسِ أبي زرعة من حال المؤمّل بن إهاب وتعسّره في الرواية.

١٠- إنّ التعسّر من قِبَل الراوي قد يكون سببا في أذيَّته من بعض طلبة العلم لحنقهم عليه؛ فقد أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه بإسناده من طريق علي بن محمد بن أبي سُليمان، قال: قدم مؤمل بن إهاب الرَّمْلة، فاجتمع عليه أصحاب الحديث وكان ذَعِراً، ممتنعاً، فألحوا عليه، فامتنع أن يحدثهم، فمضوا بأجمعهم، وألَّفُوا منهم فئتين، فتقدموا إلى السلطان، فقالوا: إن لنا عبداً خِلاسياً له علينا حق صحبة وتربية، وقد كان أدّبنا، وأحسن لنا التأديب، وآلت بنا الحال إلى الإضاقة بحمل المحبرة، وطلب الحديث، وإنا أردنا بيعه فامتنع علينا. فقال لهم السلطان: وكيف أعلم صحة ما ذكرتم؟ قالوا: إنّ معنا بالباب جماعة من حملة الآثار، وطلاب العلم، وثقات الناس، يُكتفى بالنظر إليهم دون المسألة عنهم، وهم يعلمون ذلك فتأذن بوصولهم إليك لتسمع منهم، فأدخَلَهُم وسمع منهم مقالتهم، ووجه خلف المؤمّل بالشَّرطِ والأعوانِ يدعونه إلى السلطان، فتعذر فجذبوه وجررّوه، وقالوا: أُخْبِرنا أنك قد استطعَمْت الإباق، فصار معهم إلى السلطان فلما دخل عليه قال له: ما يكفيك ما أنت فيه من الإباق حتى تتعزز على سلطانك؟! امضوا به إلى الحبس، فحُبس فكان مؤمل من هيئته إنه أصفر، طوَّال، خفيف اللحية، يشبه عبيد أهل الحجاز، فلم يزل في حبسه أياماً حتى علم بذلك جماعة من إخوانه فصاروا إلى السلطان وقالوا: هذا مؤمل بن أهاب في حبسك مظلوم. فقال لهم: ومن ظَلَمه؟ فقالوا له: أنت. قال ما أعرف من هذا شيئًا؟ ومَن مؤمل هذا؟ قالوا: الشيخ الذي اجتمع عليه جماعة. فقال: ذاك العبد الآبق؟ فقالوا: ما هو بآبق، بل هو إمام من أئمة المسلمين في الحديث. فأمر بإخراجه، وسأله عن حاله فأخبره كما أخبره الذين جاؤوا يذكرون له حاله، فصرفه وسأله أن يُحِلَّه، فلم يُرَ مؤمل بعد ذلك ممتنعا امتناعه الأول حتى لحق بالله، عز وجل"(٨٣).

الخاتمة.

بعد هذا العرض لموضوع "التعسر في الرواية عند المحدثين" فيما يأتي أهم النتائج والخلاصات التي توصّلت إليها الدراسة:

أولا: إنَّ الأصل في الراوي الثقة المتقن الحافظ، أنْ يُحدِّث بما لديه من حديث رسول ﷺ من باب نشر العلم، وحرمة كتمانه.

ثانيا: التعسّر في الرواية هو: تَمنُّعِ الراوي عن التحديث برغم غزارة محفوظه؛ لأسباب مخصوصة، على نحو يصير ذلك فيه سجيَّة له، وعلامة عليه".

ثالثا: كان إقلال الرعيل الأول من الصحابة والتابعين وتابعيهم – من التحديث والرواية منبعه الورع والتحوط لدين الله، وسنة نبيه الكريم ﷺ؛ كي لا يتجرأ كلّ أحد، فيُلصق ما شاء بحديث رسول اللهﷺ، هذا وإنْ كانت صورته صورة التعسّر فهو تعسّر محمود.

رابعًا: إنّ التعسر عند رواة الحديث وإنْ كان ظاهره الإقلال من الرواية، إلاَّ أنّه ممزوج ومشوب بأسباب جلها سلبية، وهي أبعد ما تكون عن هدي الإسلام، وأخلاق النبوة، والحقّ إنَّ التعسّر ليس سوى ظاهرة سلبية بالجملة طرأت على واقع الرواية عند المحدّثين.

خامسًا: يعدُّ أبو عبد الله نافع مولى عبد الله ابن عمر(ت ١١٧) –رضي الله عنهما – هو أوَّل من وُصِف بالتعسّر من المحدثين فيما تيسر الوقوف عليه بالاستقراء في المصادر، وقد نعته بذلك الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).

سادسًا: يرجع نشوء ظاهرة التعسّر عند المحدّثين إلى أسباب منها النفسي، ومنها المالي، ومنها العلمي، ومنها الديني؛ وهي بالجملة أسباب سلبية إلا ما كان من بعض الأسباب العلمية والدينية ،التي لا

بأسَ بها؛ فإنّ ظاهرها محمود الطويّة؛ لكنّها ليست تمثل أصل ظاهرة التعسّر، وإنما هي حالات فردية في بابها. وهذه الظاهرة قد تفشّت واستفاضت في طبقات من بعد الصحابة الكرام والتابعين وتابعيهم بإحسان، وقد أخذتْ أبعادا لا علاقة لها بحفظ الحديث وصيانته عن العبث، وداخلتها الأهواء وحظوظ الأنفس والرغباتُ الشخصية.

سابعًا: تعدُّ ظاهرة التعسّر في الرواة محدودة؛ إذ ليس لها طابع أغلبي، ومَنْ وُصِف بها فهو وصف نسبيٌ لا مطلق سيّما الأعمش؛ فقد كان غزير الرواية على عسرته، ويبدو أنّ كونه عسرًا على حدّة طبعه التي لا تتجه، كانت غايته حميدة في صيانة الحديث عن أيدي العابثين؛ فالنية حسنة والأسلوب غير محمود.

ثامنًا: قد يكون باعث الراوي على التعسّر سببا واحدًا وهو الأغلب، وقد يكون أكثر من سبب هو الباعث على ذلك، مثل الأعمش الذي اجتمع له سوء الخلق (حدّة الطباع) والاعتداد الزائد بالنفسِ وضيق ذاتِ اليدِ...إلخ.

تاسعًا: تبينَ بعد البحث الدقيق أنَّ التعسّر ليسَ له مَدخل مباشر للحكمِ على الراوي بالوثاقةِ أو الضعف بمعنى أنّ يحكم عليه بالضعف بسبب تعسّره، غيرَ أنَّ هذا السلوك يُربك النقّاد ويؤخرهم عن إدراك حال الراوي فيما يروي؛ لكون الراوي بتعسره لا يجعلهم يقفون على كلِّ حديثه.

عاشرًا: لم يصرّح أهل العلم بحكم هذا السلوك أعني: التعسّر برأيٍ واحدٍ غيرَ أنه يفهم كراهته من قول الإمام الناقد أبي زرعة الرازي: "قلَّ ما سَهُلَ عليَّ احتمال العسرة".

حادي عشر: تركتْ ظاهرة التعسّر آثارا سلبية على واقع علم الرواية؛ فقد مثّل التعسّر ذريعة يسوغ بها الرواة أحاديث الوضّاعين، والأحاديث الغرائب، وفيه منافاة لمكارم الأخلاق وحسن الطباع، وهو يعكس المزاجية في نشر العلمِ، والنزعة الفردية، والاعتداد الزائد بالنفس عند من يتقمّصونها، فضلا عن كونه يُمثّل لبوسا لضعفاء المحدثين، يَسترون به ضعفهم، وكذا فيه تفويت لعلو الإسناد في حقِّ من احتيج لحديثه بسبب تعسّره، وهو مدعاة لاستنكار أحاديث راوٍ من الرواة بسبب إفراداته، ينضاف إلى ذلكَ كُلّه أنّ التعسر قد يكونُ سببا في أذيّةِ المتعسّرِ نفسهِ من طلابه أو وجفوتهم له.

الهوامش:

(١) انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٠ هـ)، **مختار الصحاح**، ١٩٨٣م، د.ط، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ص (١٨١) مادة (عَسَر).
ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، **لسان العرب**، ١٩٩٠م، ط٢، دار صادر – بيروت، ج:٤، ص (٥٦٣و٥٦٤) مادة (عَسَرَ).

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، ج:٣، ص (٤٢٨).

(٣) ابن حبان، محمد (ت ٣٥٤ هـ)، **صحيح ابن حبّان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، ط٢، مؤسسة الرسالة – بيروت، ج:١، ص (٢٩٨) حديث رقم (٩٦).

(٤) الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، **السنن**، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، د.ت، د.ط، دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب: باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ج:٥، ص (٣٤) حديث رقم (٢٦٥٧) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) ابن حبان، **صحيح ابن حبّان**، ج:١، ص (٢٧١).

(٦) الحاكم، محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ج:١، ص (١٦٢).

(٧) هو نافع أبو عبد الله المدني مولى ابن عمر، ثقة ثبت، فقيه مشهور، قيل: إن أصله من المغرب وقيل من نيسابور وكانت تسمى أبرشهر وقيل: كان من سبي كابل، وقيل: من جبال براربندة، من جبال الطالقان أصابه عبد الله في بعض غزواته مات سنة سبع عشره ومائة أو بعد ذلك.

انظر: المزي، يوسف بن عبد الرحمن (٧٤٢هـ)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد معروف، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ج:٢٩، ص (٢٩٨) برقم (٦٣٧٣).

ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ)، **تقريب التهذيب**، تحقيق : محمد عوّامة، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، ط٣، دار القلم – دمشق، دار الرشيد – سوريا، حلب، ص (٥٥٩) برقم (٧٠٨٦).

(٨) قال عبد الله بن أحمد: "سمعت أبي يقول: كان في نافع مولى ابن عمر عسر في الحديث".

ابن حنبل، أحمد (ت ٢٤١هـ)، **العلل ومعرفة الرجال**، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م، ط١، المكتب الإسلامي، دار الخاني، بيروت – الرياض، ج:٢، ص (٣٠٢) برقم (٢٣٤٢).

(٩) القشيري، مسلم بن الحجاج، **الجامع الصحيح**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ت، د.ط، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج:٣، ص (١٦٩٥) حديث رقم (٢١٥٤).

(١٠) قال ابن حبان: حدثنا أبو يعلى، قال: حدثنا خلف بن هشام البزار، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد الانصاري، عن عبدالله بن أبى سلمة أن أبا موسى استأذن على عمر ثلاث مرات، فلم يؤذن له، فرجع فبلغ ذلك عمر، فقال: ماردك؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا استأذن أحدكم ثلاث مرات فلم يؤذن له فليرجع" فقال: لتجيئن على هذا ببينة وإلا – قال حماد ابن زيد: توعده – قال: فانصرف، فدخل المسجد، فأتى مجلس الأنصار، فقص عليهم القصة: – ما قال لعمر، وما قال له عمر – فقالوا له: لا يقوم معك إلا أصغرنا، فقام أبو سعيد فشهد. فقال له عمر: إنا لانتهمك، ولكن الحديث عن رسول الله شديد".

ابن حبان، محمد (ت ٣٥٤هـ)، **المجروحين**، تحقيق: محمد إبراهيم زايد، ١٣٩٦هـ، ط١، دار الوعي – حلب، ج:١، ص (٣٧).

(١١) ابن حبان، **المجروحين**، ج:١، ص (٣٨/٣٧) .

(١٢) العَجْلي، محمد بن عبد الله (ت ٢٦١ هـ)، **معرفة الثقات**، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي،١٤٠٥ هـ– ١٩٨٥م، ط١، مكتبة الدار – المدينة المنورة ، ج:١، ص (٤٣٢) برقم (٦٧٦) .

(١٣) العَجْلي، **معرفة الثقات**، ج:١، ص (٢٨٠) برقم (٢٥٤).

(١٤) انظر على الترتيب:

ابن سعد، محمد (ت ٢٣٠ هـ)، **الطبقات الكبرى** (القسم المتمم)، تحقيق: زياد محمد منصور، د.ت، ط٢، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ص (٤٥٧/٤٥٦).

العَجْلي، **معرفة الثقات**، ج:٢، ص (٢٤٦) برقم (١٦٢٢).

وانظر: الخطيب، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، **الكفاية في علم الراوية**، تحقيق: أبو عبد الله السورقي وآخر، د.ت، د.ط، المكتبة العلمية – المدينة المنورة، ص (٣٢٢).

هو شعيب بن أبي حمزة الأموي مولاهمْ، واسم أبيه دينار أبو بشر الحمصي، ثقة عابد، قال ابن معين: من أثبت الناس في الزهري، مات سنة اثنتين وستين ومائة، أو بعدها.

انظر: المزي، **تهذيب الكمال**، ج:١٢، ص (٥١٦) برقم (٢٧٤٧) وابن حجر، **تقريب التهذيب**، ص (٢٦٧) برقم (٢٧٩٨).

هو الحكم بن نافع البَهْرانِي، أبو اليمان الحمصي، مشهور بكنيته، ثقة ثبت، يقال: إن أكثر حديثه عن شعيب مناولة مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين.

انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، **التاريخ الكبير**، تحقيق السيد هاشم الندوي، د.ت، د.ط، دار الفكر، د.م، ج:٢، ص (٣٤٤) برقم (٢٦٩١) .

والمزي، **تهذيب الكمال**، ج:٧، ص (١٤٦) برقم (١٤٤٨) وابن حجر، **تقريب التهذيب**، ص (١٧٦) برقم (١٤٦٤).

(١٥) ابن سعد، محمد (ت ٢٣٠هـ)، **الطبقات الكبرى**، د.ت، د.ط، دار صادر – بيروت، ج:٦، ص (٣٨٠).

(١٦) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج:٦، ص (٣٨٦).

(١٧) الخطيب، **الكفاية في علم الراوية**، ص (٣٢٩).

(١٨) ابن ماكولا، علي بن هبة الله (ت ٤٧٥هـ)، **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، ١٤١١هـ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ج:٢، ص (٢٠٦).

(١٩) ابن ماكولا، **الإكمال**، ج:٣، ص (٢٨٦).

(٢٠) السمعاني، عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ) ، **التحبير في المعجم الكبير**، تحقيق: منيرة ناجي سالم، د.ت، د.ط، د.ن– د.م، ص (٤٩٤) برقم (٤٧٢).

(٢١) ابن نقطة الحنبلي، محمد بن عبد الغني (ت ٦٢٩هـ)، **التقييد لمعرفة رواة الأسانيد**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ١٤٠٨هـ، ط١، دار الكتب العلمية– بيروت، لبنان، ص (٣٤٥/٣٤٤) برقم (٤٢٥).

(٢٢) ابن نقطة، **التقييد لمعرفة رواة الأسانيد**، ص (٣٥٣/٣٥٢) برقم (٤٤٠).

(٢٣) الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، **تذكرة الحفاظ**، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، د.٠ت، د.ط، د.ن، د.م، ص (٦٨٠) برقم (٧٠١).

(٢٤) ابن حبان، **صحيح ابن حبّان**،ج:١٣، ص (٤٩٤) حديث رقم (٦١٢٥) .

(٢٥) الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج:٢، ص (٦٨٩) برقم (٧٠٩).

(٢٦) الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج:٣، ص (٩٥٢). وقال الذهبي في السير: "وكان زعرا عسرا في الرواية، إلا أنه من أئمة النقل على تشيع فيه".

الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ١٤١٣هـ، ط٩، مؤسسة الرسالة –بيروت، ج:١٦، ص (٢٧٩).

(٢٧) ابن منظور، **لسان العرب**، ج:٤، ص (٣٢٣) مادة (زَعَرَ).

(٢٨) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:٧، ص (١٤٥) .

هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب القرشي العامري، أبو الحارث المدني، ثقة فقيه فاضل، مات سنة ثمان وخمسين، وقيل سنة تسع وخمسين ومائة.

انظر: المزي، **تهذيب الكمال**، ج:٢٥، ص (٦٣٠) برقم (٥٤٠٨) وابن حجر، **تقريب التهذيب**، ص (٤٩٣) برقم (٦٠٨٢).

(٢٩) الخطيب، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، **تاريخ بغداد**، د.ت، د.ط، دار الكتب العلمية – بيروت، ج:٨، ص (١٩٨).

(٣٠) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**،ج:١٩، ص (٥١٧) . وكذا أيضا: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**،ج:٢٢، ص (١٠٣/١٠٤).

(٣١) ابن سعد، **الطبقات الكبرى** (القسم المتمم)، ص (٣٩٦).

(٣٢) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، **الجامع الصحيح**، تحقيق: مصطفى ديب البغا،١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، كتاب الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ج:٥، ص (٢٢٤٥) حديث رقم (٥٦٨٨).

(٣٣) العَجْلي، **معرفة الثقات**، ج:١، ص (٤٣٢/٤٣٣) برقم (٦٧٦).

الحُشّ (يعني: موضع الخلاء وقضاء الحاجة). ابن منظور، **لسان العرب**،ج:٢، ص (١٤٢). كناية من العمش عن عدم الاعتداد بالسلاطين.

(٣٤) ابن نقطة الحنبلي، ص (٣٤٤/٣٤٥) برقم (٤٢٥) .

(٣٥) ابن نقطة، **التقييد**، ص (٣٥٢/٣٥٣) برقم (٤٤٠) .

(٣٦) انظر على الترتيب: العَجْلي، **معرفة الثقات**، ج:١، ص (٤٣٣/٤٣٤) . الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:٦، ص (٢٤٧) . وانظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**،ج:٦، ص (٢٣٦/٢٣٧) .

قال الذهبي: "قال محمد بن خلف التيمي عن أبي بكر بن عياش، قال: كنا نسمي الأعمش سيد المحدثين، كنا نجيء إليه إذا فرغنا من الدوران، فيقول عند من كنتم؟ فنقول: عند فلان، فيقول: طبل مخرق ويقول: عند من كنتم؟ فنقول: عندفلان فيقول: طير طيار، ونقول عند فلان، فيقول: دف، وكان يخرج إلينا شيئا فنأكله فقلنا يوما: لا نخرجُ شيئا إلا أكلتموه. فأخرج شيئا فأكلناه، وأخرج فأكلناه، فدخل فأخرج فتيتا فشربناه، فدخل وأخرج إجانة وقتا وقال: فعل الله بكم وفعل أكلتم قوتي، وقوت المرأة وشربتم فتيتها، هذا علف الشاة. قال: فمكثنا ثلاثين يوما لا نكتب عنه فزعا منه،حتى كلمنا إنسانا عطارا كان يجلس إليه، حتى كلمه لنا ".

الذهبي، **سير أعلام النبلاء**،ج:٦، ص (٢٤٧).

(٣٧) الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، د.ت، د.ط، دار الفكر –بيروت، ج:١، ص (٤١٨/٤١٩) .

(٣٨) ابن حبان، **المجروحين**، ج:١، ص (٩٣).

(٣٩) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:٦، ص (٢٤٧).

والخطيب، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، **الجامع لأخلاق الراوي والسامع**، تحقيق: محمود الطحان، ١٤٠٣هـ د.ط، مكتبة المعارف – الرياض، ج:١، ص (٢٠٧) برقم (٣٧٤).

(٤٠) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:١٩، ص (٥١٧).

(٤١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:٢٢، ص (١٠٣/١٠٤).

(٤٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:٦، ص (٢٣٥/٢٣٦).

(٤٣) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:٦، ص (٢٣٧/٢٣٨). القتُّ: الفِصْفِصَةُ، وهي الرَّطْبةُ من عَلَف الدَّواب وخَصَّ بعضُهم به اليابسةَ منها. ابن منظور، **لسان العرب**،ج:٢، ص (٧١) مادة (قَتَتَ)

(٤٤) الخطيب، **الجامع لأخلاق الراوي والسامع**، ج:١، ص (٢٠٧) برقم (٣٧٦).

(٤٥) العَجْلي، **معرفة الثقات**، ج:١، ص (٤٣٢). وانظر: العَجْلي، **معرفة الثقات**،ج:١، ص (٣١٥) .

(٤٦) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:٦، ص (٢٣٩). المزي، **تهذيب الكمال**، ج:٢٣، ص (١٠٨/١٠٩) برقم (٤٦٩٢)

(٤٧) أبو نعيم، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ)، **حلية الأولياء**، ط٤، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي – بيروت، ج:٥، ص(٥٠).

(٤٨) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:١٢، ص (٣٢٣/٣٢٢).

(٤٩) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:٢٢، ص (١٠٤/١٠٣).

(٥٠) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:٦، ص (٢٣٧/٢٣٦).

(٥١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:٦، ص (٢٣٥).

(٥٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:١١، ص (٤٢٧/٤٢٦). **قلتُ:** إنَّ ما أحال عليه الذهبي في كامل ابن عدي ليس موجودا لا في المطبوع من الكامل ولا في مجلد التراجم الساقطة من كامل ابن عدي فأردت التنبيه.

القَرْمَطةُ في الخَطِّ: دِقَّةُ الكتابة، وتَداني الحروف. ابن منظور، **لسان العرب**،ج:٧، ص (٣٧٧) مادة (قَرْمَطَ).

قلتُ: إنّ ممن كان يأخذ الأجرة على التحديث الحافظ يعقوب ابن إبراهيم الدورقي (ت ٢٥٢هـ) صاحب المسند؛ أخرج الإمام النسائي في سننه، قال: "أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَتِيقٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ قَالَ أَبُو عَبْد الرَّحْمَنِ (يعني: النسائي): **كَانَ يَعْقُوبُ لَا يُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا بِدِينَارٍ**".

النسائي، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ)، **السنن (المجتبى)**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدّة، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م، ط٢، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب، كتاب الطهارة، باب: الماء الدائم، ج:١، ص (٤٩) حديث رقم (٥٨).

(٥٣) الخطيب، **الجامع لأخلاق الراوي والسامع**، ج:١، ص (٢٠٥) برقم (٣٦٦) .

(٥٤) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج:٦، ص (٣٨٠).

(٥٥) الخطيب، **تاريخ بغداد**، ج:٧، ص (٢٥٢).

قال الخطيب: "أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الأشناني، قال: سمعت أحمد بن محمد، يقول: سمعت عثمان بن سعيد، يقول: وسألته يعني: يحيى بن معين عن أبي وكيع؟ فقال: ليس به بأس".

أخبرني أحمد بن عبد الله الأنماطي، أخبرنا محمد بن المظفر، أخبرنا علي بن أحمد بن سليمان المصري، حدثنا أحمد بن سعد ابن أبي مريم، قال : سمعت يحيى بن معين، يقول: الجراح بن مليح ثقة أخبرنا محمد بن عبد الواحد، أخبرنا محمد بن العباس، قال: أخبرنا أحمد بن سعيد السوسي، حدثنا عباس بن محمد، قال: سألت يحيى، عن الجراح بن مليح بن فرس أبي وكيع، فقال: ثقة.

أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا الوليد بن هشام بن عبد الملك حدثنا أبو وكيع الجراح بن مليح وهو ثقة.

أخبرنا أحمد بن أبي جعفر، أخبرنا محمد بن عدي البصري، في كتابه، حدثنا أبو عبيد محمد بن علي الآجري، قال: سئل أبو داود عن أبي وكيع؟ فقال: ثقة". الخطيب، **تاريخ بغداد**، ج:٧، ص (٢٥٢).

قال الحافظ ابن حجر: "صدوق يهم". ابن حجر، **تقريب التهذيب**، ص (١٣٨) برقم (٩٠٨).

(٥٦) الخطيب، **تاريخ بغداد**، ج:١٢، ص (٨٤) برقم (٦٤٩٧).

(٥٧) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج: (٢٤) ص (٤٥١).

(٥٨) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:٢٢، ص (١٥١).

(٥٩) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:١٩، ص (٤٨/٤٧).

(٦٠) الخطيب، **الجامع لأخلاق الراوي والسامع**، ج:١، ص (٢٠٨) برقم (٣٨٠) .

الخطيب، **تاريخ بغداد**، ج:٨، ص (٩٢) برقم (٤١٩٠).

ابن نقطة، **التقييد**، ص (٣٥٣/٣٥٢) برقم (٤٤٠).

حكى الذهبي في ترجمة عبد الحق بن عبد الخالق اليوسفي (ت ٧٧٥هـ) قال: "قال ابن الجوزي كان حافظا لكتاب الله، دينا ثقة، وقال البهاء عبد الرحمن: سمعنا عليه كثيرا، وكان من بيت الحديث، وكان صالحا فقيرا، وكان عسرا في السماع جدا، ورزقت منه حظا وكان يعيرني الأجزاء فأكتبها، وكان يتلو في اليوم عشرين جزءا".

الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:٢٠، ص (٥٥٣/٥٥٢).

(٦١) الخطيب، **تاريخ بغداد**، ج:٨، ص (١٩٨). المزي، **تهذيب الكمال**،ج:٢٥، ص (٦٤٢).

(٦٢) الخطيب، **تاريخ بغداد**، ج:٧، ص (٢٧٣/٢٧٢) برقم (٣٧٦٠).

المزي، **تهذيب الكمال**، ج:٦، ص (٤٩٥) و (٤٩٧) برقم (١٣٤٧).

(٦٣) الخطيب، **الجامع لأخلاق الراوي والسامع**، ج:١، ص (٢٠٦) برقم (٣٧١).

الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:١٠، ص (٥٧٠/٥٦٩). ونقل الإمام الذهبي في ترجمة علي بن عثّام عن الحاكم في تاريخه أنّه قال: "أديب فقيه، حافظ زاهد واحد آلاف لا يحدث إلا بالجهد، وأكثر ما أُخذ عنه الحكايات والزهديات والتفسير والجرح والتعديل".

(٦٤) الخطيب، **الجامع لأخلاق الراوي والسامع**، ج:١، ص (٢٠٥) برقم (٣٦٩).

قال الخطيب: "أخبرنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد ابن فضالة الحافظ النيسابوري، بالري، أخبرنا محمد بن عبد الله ابن المطلب الشيباني، أخبرنا عبد الله بن أبي داود، أخبرنا محمد ابن قدامة، قال : سمعت أبا أسامة، يقول: "إني لأغار على الحديث كما يُغَار على الجارية الحسناء".

الخطيب، **الجامع لأخلاق الراوي والسامع**، ج:١، ص (٢٠٦) برقم (٣٧٠).

وانظر: ابن حنبل، **العلل ومعرفة الرجال**، ج:٢، ص (٣٠٢) برقم (٢٣٤٢).

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة عبد الملك بن شعيب الفهمي (ت٢٤٨هـ): "قال ابن يونس: كان حديثيا فقيها عسرا في الحديث ممتنعا".

ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ)، **تهذيب التهذيب**،١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ط١، دار الفكر- بيروت، ج:٦، ص(٤٥٣) برقم (٧٥٢).

(٦٥) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:١٩، ص (٥٧٧).

قلتُ: لم أقف على كلام ابن عساكر في تاريخه ولا وجدت ترجمة لابن الأكفاني فلعلها سقطت.

(٦٦) الخطيب، **تاريخ بغداد**، ج:٩، ص (٤٠٧) برقم (٥٠١٥).

(٦٧) الخطيب، **الكفاية في علم الراوية**، ص (٢٨٧).

وانظر أيضا: ابن عساكر، علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ)، **تاريخ دمشق**، دراسة وتحقيق: علي شيري، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ط١، دار الفكر – بيروت، لبنان، ج:٢٧، ص (٧١).

(٦٨) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:٨، ص (٣٥).

وقال العجلي "في ترجمة محمد بن عبد الوهاب السكري (ت ٢١٢هـ): "كان من أفاضل أهل الكوفة و كان عسرا في الحديث".

العَجْلي، **معرفة الثقات**، ج:٢، ص (٢٤٦) برقم (١٦٢٢) .

(٦٩) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ج:٥، ص (٢٢٤٥) حديث رقم (٥٦٨٨).

قال الذهبي في الميزان في ترجمة أحمد بن المبارك بن أحمد بن محمد ابن بكر: قال ابن النجار: رأيته وكان عسرا، سيئ الأخلاق، ولا يفهم شيئا".

وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة هبة الله بن الفضل القطان (ت ٥٥٨هـ): "قال ابن النجار: كان مجودا وسبق المعاني، والغالب على شعره الهجو، وكان سيء الطريقة والخُلق، متعصبا لهذا الشأن وأهله، عسرا في الرواية".

ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، **لسان الميزان**، تحقيق: دائرة المعارف النظامية (الهند)، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، ط٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، **لسان الميزان**، ج:٦، ص (١٨٩).

الذهبي، **ميزان الاعتدال**، ج:٨، ص (٤٠) برقم (١٣٠).

(٧٠) ابن عدي، عبد الله (ت ٣٦٥ هـ)، **الكامل في الضعفاء**، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م، ط٣، دار الفكر – بيروت، ج:٦، ص (١٤٤) برقم (١٦٤٤).

(٧١) ابن عدي، **الكامل في الضعفاء**، ج:٦، ص (١٤٦) برقم (١٦٤٥) .

(٧٢) ابن عدي، **الكامل في الضعفاء**، ج:١، ص (٢٩٠).

(٧٣) ابن ماكولا، **الإكمال**، ج:٣، ص (٢٨٦).

(٧٤) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:٩، ص (٣٥١).

(٧٥) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:٨، ص (٣٣٦/٣٣٥).

(٧٦) الخطيب، **تاريخ بغداد**، ج:٧، ص (٢٧٣/٢٧٢) برقم (٣٧٦٠).

(٧٧) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج:١٣، ص ص (١٨٤-١٨٧).

(٧٨) ابن حجر، **لسان الميزان**، ج:١، ص (٤٨).

(٧٩) الخطيب، **الجامع**، ج:١، ص (٢٠٥) برقم (٣٦٦).

(٨٠) الخطيب، **تاريخ بغداد**، ج:٧، ص (٢٥٢).

(٨١) المزي، **تهذيب الكمال**، ج:٢، ص (١٥٤) برقم (٢١٥) .

الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، **ميزان الاعتدال**، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ١٩٩٥م، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ج:٨، ص (٢١/٢٠) برقم (٣٩).

(٨٢) انظر على الترتيب:

المزي، **تهذيب الكمال**، ج:٣٠، ص (٣١٤/٣١٣) برقم (٦٦٠٤).

أبو زرعة، عبيد الله بن عبد الكريم (ت ٢٦٤هـ)، **سؤالات البرذعي لأبي زرعة الرازي**، تحقيق: سعدي الهاشمي، ط٢، دار الوفاء – المنصورة، ١٤٠٩هـ، ص (٧٧٢).

(٨٣) الخطيب، **تاريخ بغداد**، ج:١٣، ص (١٨١).

الخِلاسي: "الولد بين أَبيض وسوداء أَو بين أَسود وبيضاء". ابن منظور، **لسان العرب**، ج:٦، ص (٦٦) مادة (خَلَسَ).